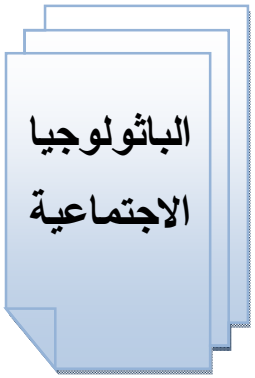

أ. إبـــراهيم بـــوالفلفل

تحليل سوسيولوجي لظاهرة الانتحار في الجزائر (دراسة لاحصائيات في بعض ولايات الشرق الجزائري)

يعتبر السلوك الانتحاري سواء كان انتحارا تاما أو محاولة انتحارية واحدا من السلوكات التي عرفتها البشرية منذ الأزمنة القديمة، مع اختلاف في معدلات حدوثه، ونظرة الناس إليه باختلاف العصور والحضارات والمجتمعات.

إن هذه الاختلافات كانت دائما تدور حول القيم المتناقضة التي يتم إضفاءها على هذا الفعل، فتارة يعتبر بطولة، وتارة خساسة، وأخرى إيثار وأنانية، وغيرها من النعوت، في حين أن المنتحر غالبا ما يعتبر مجرما بالنظر إلى سلوكه، باعتباره جريمة اتجاه الغير، واتجاه نفسه، واتجاه المجتمع الذي ينتمي إليه.

إن سلوك الانتحار كان محور العديد من النقاشات عند المثقفين، الفلاسفة، الأطباء ورجال الدين، فالمنتحر يثير القلق؛ لأنه بفعله هذا يجلب الانتباه إلى أقوى "طابور" في المجتمع، ألا وهو "الموت".

لفهم الانتحار لابد من البحث عن الأسباب العميقة التي دفعت إليه، مثل انعدام الاتصال الأسري داخل الأسر المفككة، والانعزال، والوحدة، وصعوبات الاندماج في الحياة الاجتماعية، وكذا التعرض لأحداث مفجعة مثل فقدان عمل، أو الطلاق، أو موت أحد الزوجين، أو مرض خطير، وغالبا ما يكون تراكم هذه العوامل هو المؤدي بالفرد إلى الانتحار، والقصور في فهم السلوك الانتحاري يأتي غالبا من إعطائنا الأهمية القصوى للعامل الذي أثاره، أو العامل المباشر والحدث المفجع الذي يجعل الفرد يقرر الشروع في فعل الانتحار، ونغفل بسهولة بالغة الأسباب العميقة الكامنة للانتحار، لكونها أقل وضوحا وبروزا، ولكنها في الأخير مهمة لفهم سلوك يعبر عن اليأس وفقدان الأمل.

حجم المشكلة وأبعادها:

يعد السلوك الاجتماعي مشكلة اجتماعية، فهو ليس فعلا فرديا دراماتيكيا ومخفيا، ولكنه فعل اجتماعي ظاهر للعيان، ويتميز كل بلد بنسبة انتحار ثابتة نسبيا.

فالانتحار إذن لا يقتصر تفسيره على علم النفس أو الطب النفسي، فالأفراد يميلون أكثر أو أقل للانتحار حسب وضعياتهم الاجتماعية، فهناك بعد اجتماعي للانتحار، أول من قام بتحليله هو إميل جوركايم، الذي أظهر أن العوامل الاجتماعية تترك تأثيرا جوهريا على السلوك الانتحاري، وتمثل حالة الضياع واحدة من تلك المؤثرات لا تظهر معدلات الانتحار أنماطا منتظمة بين سنة وأخرى، ولا يمكن تفسير هذه الأنماط إلا بأسلوب سوسيولوجي[1].

إن الإحصائيات العالمية تشير إلى أرقام مخيفة عن تطور نسب الانتحار عبر دول العالم ككل. تشير النسب التي تم تسجيلها سنة 2000 أن 815 ألف شخص ينتحرون سنويا في العالم، بواقع 14.5 قتيل لكل 100 ألف ساكن، أي أن العالم يعرف حالة انتحار كل 40 ثانية[2].

ويتوزع الانتحار بطريقة غير متساوية عبر دول العالم، حيث تبين خريطة توزع الانتحارات المعدة من طرف منظمة الصحة العالمية أن المنطقة التي تشهد أعلى النسب حاليا في العالم تضم مساحة واسعة، تمتد من دول البطليق إلى الفدرالية الروسية، بالإضافة إلى جمهوريتين سابقتين من الاتحاد السوفياتي الشمالي، وهما أوكرانيا وبلاروسيا. كما توجد دول أخرى على قمة الهرم، مثل سيريلانكا وسلوفينيا والمجر.

كما أن نسبة كبيرة من النساء اللواتي تنتهي حياتهن بالانتحار عبر العالم هن من الصين، خاصة اللواتي يقطن في المناطق الريفية، كما تعرف بلدان أوربا سواء كانت الشرقية أو الغربية، بالإضافة إلى اليابان نسبا مرتفعة. أما الدول الأنجلوساكسونية مثل الولايات المتحدة الأمريكية وكندا واستراليا والمملكة المتحدة تمثل بالمقابل نسبا متوسطة، في حين المناطق الكبرى المسماة مناطق الجنوب، وعلى الخصوص إفريقيا، أمريكا الجنوبية وكوبا فتشكل الاستثناء، كما تتميز الدول العربية بنسب تتراوح من منخفضة إلى جد منخفضة، مع الإشارة إلى أن هناك

---

[1] - أنظر أنتوني غدينز، **علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)**، ط4، ت- فايز الصايغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص68.

[2] - كمال طارق، **الانتحار...هروب جبان إلى الموت**، الشروق، مجلة أسبوعية سياسية دار الخليج للصحافة والطباعة والنشر، العدد 767/755، 9/25، 2006/10/1، ص39-49.

تقارير طبية تشير إلى / أو تدفع للاعتقاد بان السلوكات الانتحارية قد أصبحت مشكلا لدى شباب المغرب العربي[3].

إن الانتحار له علاقة مباشرة بعامل السن في غالبية دول العالم بمعنى أنه يذكر عند الفئات العربية الأكثر تقدما كما أن هناك استثناءات خاصة في الدول العربية والإسلامية التي تتميز بانتحار ذوي الفئات العمرية الشابة.

ومن بين النتائج الأكثر انتظاما هي قوة تمثيل الرجال بالنسبة للنساء في الإحصائيات الخاصة بالانتحار حيث تتراجع نسبته من الضعف إلى أربعة أضعاف، غير أن المحاولات الانتحارية منتشرة أكثر عند النساء وخاصة عند سن المراهقة وفي بداية سن البلوغ.

الدراسات السابقة:

أــ دراسة إميل دوركايم:

تعد دراسة **إميل دوركايم** لظاهرة الانتحار، التي تم نشرها عام 1897م معلما بارزا في بحوث علم الاجتماع، التي تتقصى العلاقة بين الفرد والمجتمع، وانطلق دوركايم في دراسته المقارنة عن ظاهرة الانتحار مما يسمى بـــ "الإحصائيات" حول الانتحار، تم إجراؤها في مختلف دول أوربا.

وأتاحت له هذه المعطيات عقد مقارنات، وعزل العوامل والمتغيرات التي تؤثر في ظاهرة الانتحار، ليلاحظ مثلا أن نسبة الانتحار (في كل 100.000 ساكن) هي أعلى في المدن منها في البوادي، من هنا نلاحظ تفسيرا هاما، أو متغيرا هاما، لماذا تأخذ نسبة الانتحار حجما كبيرا جدا في المدن بالمقارنة مع البوادي؟ وهنا يصوغ دوركايم فرضية، أي جوابا ممكنا مبكرا عن المشكل المطروح، وهو: أن المجتمع الصناعي يفكك الحياة الاجتماعية، ويقود إلى تفكك البنية الاجتماعية، فالفرد الذي ينتقل إلى المدينة لا يجد فيها الدعم الاجتماعي الذي كان يلقاه في قريته، حيث كانت العائلة والكنيسة والقبيلة، ...الخ، تشكل نظاما راسخا متماسكا. ففي المجتمع الصناعي تسود ظاهرة شبه فوضوية، من أبرز معالمها فقدان التماسك الداخلي، وفقدان النظام المرجعي للذوات المقتنعة، مما يرفع نسبة عدم التكيف، والانجراف والانتحار، كما يعزل عوامل أخرى هي: الانتماء الديني (ارتفاع نسبة عدد حالات الانتحار بين البروتستانت تفوق نظيرتها بين الكاثوليكيين)، ومستوى التكوين (عدد حالات الانتحار بين ذوي المستوى الثقافي المرتفع يفوق نظيرتها لدى غيرهم). من هنا لابد من القول بأن مساهمة

---

[3]- أنظر: Brian M, Michel.T. **comprendre le suicide,** PUM. 2004. PP 43-45.

دوركايم ببحثه الميداني حول الانتحار تعد أول بحث ميداني سيوسولوجي حقيقي نقف فيه على خطاطة المسعى التجريبي كما وصفه كلود برنارد C.Bernard.[4]

وقد أجريت قبل دوركايم دراسات عن الانتحار، غير أنها لم تقدم تفسيرات سوسيولوجية لهذه الظاهرة، كما فعل هو، حيث اعترفت هذه الدراسات بتأثير العوامل الاجتماعية على الانتحار، غير أنها تطرقت إلى اعتبارات من نوع العرق والمناخ والاضطرابات العقلية، لتفسير ميل فرد ما إلى الإقدام على الانتحار، أما بالنسبة لدوركايم، فإن الانتحار هو حقيقة اجتماعية لا يمكن تفسيرها إلا بحقائق اجتماعية أخرى، فالانتحار أكثر من مجرد تجميع لحقائق مفردة، لأنه يمثل ظاهرة تحمل أنماطا من الخصائص.[5]

وقد حاول دور كايم استبعاد العوامل غير الاجتماعية المؤدية للانتحار، ثم ذكر ثلاثة نماذج عالج فيها الأسباب والمواقف الاجتماعية المؤدية إليه، فقد تبين خطأ ما انتهى إليه بعض الباحثين من أن الانتحار يرتبط مباشرة بالاختلال العقلي، فالإحصاءات لا تشير إلى مثل هذا الارتباط، ومثل ذلك أن عدد النساء في المؤسسات العقلية يزيد عن عدد الرجال فيها، إذ يوجد حوالي 55 امرأة لكل 45 رجل، بينما لا تزيد نسبة النساء في التعداد الذي أجراه دوركايم عن 20% فقط من نسبة المنتحرين، يضاف إلى ذلك التناقض بين معدل الانتحار والأعمار التي يصاب فيها المرء بالاختلال العقلي، فثمة حقيقة تؤكد أن معدل الانتحار يزداد مع تقدم العمر، بينما يبلغ الاختلال العقلي أعلى درجاته في سن النضج، ويلاحظ دوركايم أيضا أن البلاد التي تنخفض فيها معدلات الانتحار ترتفع فيها نسبة الأفراد المصابين بأمراض عقلية، كذلك لم يجد دوركايم ارتباطا جوهريا بين الانتحار وإدمان الخمور، ويرفض ما انتهى إليه مورسيلي Morselli من وجود فوارق جوهرية في نسبة الانتحار بين الجماعات السلالية، لأنه لاحظ اختلافات جوهرية في نسبة الانتحار داخل كل سلالة.

وينتقل دور كايم إلى مناقشة العوامل الكونية، ويوضح أن لا علاقة بين المناخ ومعدل الانتحار، فافتراض مورسيلي Morselli بأن ظاهرة الانتحار لا ترتفع في بلاد جنوب أوربا عنها في شمالها، وترتفع نسبة الانتحار في المدن عنها في الريف، نتيجة لازدياد الأنشطة الاجتماعية في المناطق الحضرية وتعقدها، لذلك وجب علينا أن نبحث عن سبب الانتحار، وليس بين النتائج المترتبة على المناخ، وإنما في طبيعة الحضارة المتغيرة بين البلدان المختلفة، ثم يحاول دوركايم اختبار نظرية Tarde (تارد) من أن كل صور السلوك، بما في ذلك السلوك

---

[4]- أنظر- مهى سهيل المقدم، **محاكمة دور كايم في الفكر الاجتماعي العربي**، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر 1992، ص ص 35-45.

[5] - أظر: أنتوني غيدز، مرجع سابق، ص66.

المنحرف كالجريمة، إنما ترجع إلى التقليد أو المحاكاة. فإذا كانت هناك حالات انتشرت فيها موجة من الانتحار بفعل التقليد الذي يقوم على النقل الآلي فقط، فإن ذلك لا يشير إلى أن هذه الحالات من الانتحار ترجع إلى شخص معين هو أول من أقدم على ارتكاب الانتحار، بل هي في الحقيقة فعل اجتماعي، بمعنى أن الجماعة قد عقدت العزم على الموت، أي أن الجماعة قد تصرفت نتيجة لتأثير عامل معين على كافة الأعضاء.

فالتقليد لا يقدم لنا تفسيرا لظاهرة الانتحار، لأنه يؤدي إلى بعض الحالات الفردية فقط، كما أنه لا يسهم في تفسير تباين معدلات الانتحار في المجتمعات المختلفة[6].

ب ــ دراسة انجليهارت ومجموعته:

قامت مجموعة من الباحثين تحت إشراف البروفيسور (Ronalit Inglihut)، أستاذ العلوم السياسية بجامعة سيتشغانم منذ سنوات 1990 بجرد القيم الأخلاقية التي تحرك أفراد عدد كبير من الدول، حيث احتوت الاستمارات الموزعة على مجموعة كبيرة من الأشخاص عبر العالم على العديد من الأسئلة الوجيهة حول التنشئة، الثقة في الهيئات العمومية، الموقف حيال عقوبة الإعدام أو السلطة ... التي تسمح بتوضيح وإلقاء الضوء على مشكل مثل الانتحار، وقام الباحثون برسم خريطة بينوا من خلالها مختلف أصناف القيم المهيمنة في مختلف البلدان، انطلاقا من محورين، يخص المحور العمودي أهمية الدين في الحياة، أهمية إسعاد الوالدين وتشريفهما، الاعتقاد في الجنة والنار، الموقف من الموت الرحيم والانتحار، وجدت مجموعة الباحثين أن الأغلبية في البلدان المحافظة تعرف نفسها من خلال الدين، تعارض بشدة القتل الرحيم والانتحار والطلاق، مع تقييد الهجرة، وتنتمي إلى يمين الساحة السياسية، كما تتميز الدول "اللائكية - العقلانية" بمواقف معاكسة حول كل هذه القضايا، فأغلب مواطنيها غير مصدومين لا بالقتل الرحيم ولا بالطلاق ولا بالانتحار ... الخ.

في المحور الأفقي نجد في المقام الأول مفاهيم (معنى العمل، على جهة اليسار نجد قيم "الكفاح من أجل البقاء (العيش) التي تنتشر في البلدان أين نجد غالبية مواطنيها غير راضين عن وضعيتهم المادية، وتعتبر العمل كمصدر رزق وأمن فقط، جاعلة في المرتبة الثانية الفائدة الشخصية التي يمكن الحصول عليها من العمل أو التنشئة التي يساهم في خلقها. كما تعتبر الهدف الأساسي من تعليم الأطفال هو تعليمهم كيف يعملون بقوة وجد، وكل ما يعيق هذه الأهداف المادية يرفض بعنف.

---

[6] - أنظر: مهى سهيل المقدم، مرجع سابق، ص ص 36-45.

في المحور المقابل توجد البلدان التي تجعل في المقدمة التكوين الشخصي في التعليم أو العمل، مع اخلاق التسامح واحترام الآخر والاعتقاد الجازم بتفوق الديمقراطية.

ولقد جمع انجليهارت Inglihut تحت تسمية "الفردانية الخلاقية" كل القيم التي تتعارض مع قيمة "الكفاح من أجل البقاء (العيش)، التي تساهم في تثمين الفرد، وبناء الروح الجماعية انطلاقا من الاعتراف بالمزايا والكفاءات الشخصية، وهنا يتعلق الأمر بمفهوم الفردانية الخلاقية لا تضع الفرد في مواجهة مع الجماعة، ولكن تعترف بمساهمة كل واحد في البناء الديناميكي للجماعة، وتظهر أكثر فعالية هذه القيم الجماعية في عالم الشغل، حيث أصبح العمل لا يقتصر على معنى كسب الخير، ليتحول إلى وسيلة لتحقيق الذات، ومصدر للإشباع الشخصي، فالعمل الجيد هو الذي يسمح لشخصية أن تثبت نفسها، ويسمح لأولئك الذين يمارسون الإبداع والاختراع بتفجير طاقاتهم الكامنة، فيتحول العمل بالنسبة للفرد مصدرا للسعادة باكتسابه الإحساس بالقيام بأشياء تدوم، وتقديم خدمة للآخرين، والاعتراف بقيمة الحقيقة من طرفهم، وبهذا فإن الفرد يعبر عن ذلك الإحساس بالكشف عن السمات الأكثر عمقا وأصالة في شخصيته، فالعادي يصبح فنانا يحرص على مصلحة العمل الذي أصبح موضوع استثمار شخصي قوي.[7]

ولقد توصل الباحثون إلى أن:

علاقة معدلات الانتحار مع كل بعد من أبعاد نظم القيم التي درسوها بناءة، حيث لا توجد مفاجئة بالنسبة للمحور العمودي، فالابتعاد عن التقاليد والقيم الدينية والعائلية السياسية يترجم بارتفاع في نسبة الانتحار، منسجمة بذلك مع التحاليل الذي قام بها دور كايم، فالمجتمعات الأكثر تطورا التي تجعل في المقدمة الفرد مقابل الجماعة تتميز بارتفاع معدلات الانتحار بها.

وكما هو الحال فالدول الأكثر غنى هي الأقل محافظة، وبالتالي تعاني من إحدى الآثار الجانبية للتطور. لكن العلاقة أو الارتباط في الاتجاه المعاكس مع المحور الثاني مثيرة أكثر، لأنها جديدة، حيث أنه كلما كان هناك ارتباط بين العمل وتحقيق الذات والحتمية وانحسر البعد الآخر للعمل باعتباره وسيلة لكسب العيش فقط كلما نقصت نسب الانتحار.

فالحمايات المفقودة من طرف المجتمعات المعاصرة بسبب ابتعادها عن التقاليد قد تم تعويضها جزئيا، من خلال تطور فردانية خلاقة، بالمقابل تلقت الدول التي ابتعدت عن التقاليد، وفي نفس الوقت لا تزال تنظر للعمل بمنطق ضمان العيش عقابا مضاعفا، مثلما هو حال الدول الاشتراكية سابقا، فإذا موضعنا هذه

---

[7] - Ronald Inglehant et Wayne E.Baker, « Modernization, cultural change and the persistence of traditional values », American sociological vevient, 200, vol, 65, pp.19-51.

الدول على خريطة انجليهارت فإن نسبة الانتحار ترسم خطا حلزونيا واضحا جدا.[8]

في البلدان الفقيرة التي تتميز في نفس الوقت بالمحافظة وقيم البقاء (ضمان العيش) نجد نسب الانتحار في أخفض مستوياتها. البيرو: 0.6 في 100.000 ساكن، الفيلبين 2.5 في 100.000 ساكن، المكسيك 5.4 في 100.000 ساكن)، أما في البلدان الغنية والمحافظة فنجد نسب أعلى من الانتحار، ولكن نسبيا منخفضة بالنظر إلى مستولى الغنى، وهو الحال في بريطانيا 11 في 100.000 ساكن، ايطاليا والولايات المتحدة الأمريكية تقريبا 31 في 100.000 ساكن.

في البلدان التي تتميز بمحافظة ضعيفة وفردانية خلاقة لديهم نسب انتحار أكثر ارتفاعا، فالإبداع لا يعوض فقدان الحماية المرتبطة بالابتعاد عن التقاليد، وهي حالة فرنسا بـــ 30.4 في 100.000 ساكن، ودول شمال أوربا (السويد: 30.9، فيرلندا: 43.4، الدانمارك: 24.4).

في الأخير الدول التي يجتمع فيها غياب الحماية الناتج عن اختفاء التقاليد ووجود قيم البقاء (ضمان العيش) تمثل النسب الأقوى (اسطونيا:67.3، ليتونيا:79.1، المجر:59.9).[9]

دراسة جون هليوال: « John e.helliwell »

قام أستاذ الاقتصاد في جامعة فانكوفر الكندية، مستندا إلى المعطيات التي جمعها انجليهارت بمحاولة للوصول إلى الأثر الخالص للثروة المتاحة حسب كل شخص على الانتحار، وقد اشتملت دراسته 117 دولة، حاول من خلالها قياس الأثر على الانتحار الذي تحدثه خمسة متغيرات أساسية مترابطة فيما بينها وهي[10]:

- ـــ الجتمعة.
- ـــ الثقة في الآخرين.
- ـــ الاعتقاد بالله.
- ـــ أهمية الطلاق.
- ـــ الدخل الوطني الفردي.

---

[8] - أنظر: Christian Baudelot, Roger Establet. Suicide - l'envers de notre monde, seuil, Paris, 2006, P99.

[9] - Ibidem.

[10] - أنظر: Ibid pp 103-107

وتوصل الباحث إلى تقدير أثر كل متغير على الانتحار عندما تكون باقي المتغيرات ثابتة، وكانت النتائج المتوصل إليها كالتالي:

تخفض كل من الجتمعة (sociabilité)، الثقة بالآخرين والاعتقاد بالله من مخاطر الانتحار، في حين يزيد الطلاق من هذه المخاطر. كما أن الغنى الفردي لديه أثر حامي. في الواقع يبدو للغنى آثار حامية مباشرة وغير مباشرة، لأن الجتمعة والثقة في الآخر تكون أقوى في البلدان الغنية أكثر منها في البلدان الفقيرة، غير أن للتطور كذلك أثر في نزع بعض الحمايات، لأنه إجمالا يضعف الانتماء الديني ويدفع نحو الطلاق.

تتسم هذه الدراسة التي اهتمت بالقيم على المستوى العالمي بضعف واضح، وخاصة في تمركزها حول قيم أمريكا الشمالية. فمؤشر الممارسات الدينية هو نفسه في كل الدول (go to derch) (الذهاب إلى الكنيسة) سواء تعلق الأمر بالكنيسة البروتستنتية أو المعابد البودية، أو أماكن العبادة الهندوسية، أو المساجد.

فالقيم التي تم إحصاءها وجمعها من خلال الاستثمارات كشفت عن أكثر من تعميم على مستوى العالم لآراء نمطية متكررة في العالم الغربي أكثر منها بحث إثنولوجي ميداني قادر على الوصول إلى تبيين والوقوف على الخصوصيات التي تميز مختلف شعوب العالم في تصورها للعالم والأخلاق العامة والشخصية، فإعطاء الدراسة الأولوية لإيجاد جداول قابلة للمقارنة جعلت بلدان العالم كلها في نفس مجال القيم، مما قاد هذه الأبحاث إلى تبسيطات مشبوهة للواقع.

بالرغم من هذه المعطيات التي وقعت فيها هذه الأبحاث، فإنها تسمح بتوضيح تطور الانتحار في البلدان الغنية، باعتبار أن بنود الاستثمارات المستعملة تتلاءم أكثر مع هذه البلدان. فتأكيد العلاقة القوية بين الانتحار وأشكال التحرر من القيم التقليدية (الطلاق،...الخ) يعني أن الانتحار في الدول الغنية يبقى مستواه عال حتى في مراحل النمو، ولا يصل أبدا إلى مستوى النسب الضعيفة التي ميزت الفترة التي سبقت الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر.

كما أن تطور الفردانية التي تعتبر في نفس الوقت نتيجة وشرط من شروط التطور الاقتصادي الرأسمالي يحمل في طياته عوامل مساعدة على الانتحار، غير أن هذه النتيجة يجب ألا تخفي نتيجة أخرى مغايرة لها، فظهور قيم مرتبطة بتحقيق الذات وبالفردانية الخلاقة خاصة في المجال المهني في هذه الدول الغنية قد سمح بخفض وحتى مواجهة الآثار السلبية للفردانية الأولى*.

لقد حدث نفس الأمر منذ النصف الأول من القرن العشرين مع ظاهرة التحضر، فالمدن الكبرى التي تدفع إلى تضاعف مخاطر الانتحار في القرن التاسع عشر أصبحت في القرن العشرين تخفض من هذه المخاطر.

---

* - الفردانية التي كانت سائدة في القرن 19، واعتبرها دور كايم من بين العوامل المحفزة على الفعل الانتحاري.

إن الدول المتطورة باعتنائها عرفت كيف تخترع طرقا أخرى للعيش الجماعي في المدينة، وفي العمل، فبالرغم من أنها مختلفة تماما عن تلك التي كانت سائدة في الجماعات القروية المتمحورة حول الكنيسة، فهي منتجة لقيم التضامن، ولا تؤدي إلى الوحدة أو العزلة.

كما يعتبر محيط العمل في العالم المعاصر مجالا استراتيجيا نعقد فيه بطريقة تناقضية مجموعة من العلاقات بين الفرد والمجتمع، يلعب فيها الفرد دورا هاما، ويشكل النشاط المهني جزءا كبيرا من الهوية الاجتماعية للأفراد، ويمارس ضغطا قويا على الهوية الشخصية لدرجة تباهي الشخص مع مهنته، إذ أصبحت ضمن الكلام العادي، فنقول: "أنا أستاذ، أنا سائق... أنا ممرضة ... الخ، فهذا الضغط المتزايد للأشكال الجديدة للتنظيم المحفزة لكل عامل على الانخراط شخصيا في عمله، قد حول مسألة النجاح أو الفشل بالنسبة للعامل إلى قرار وجودي، فهم يعتقدون في حالة فشل مشاريعهم أنهم المسؤولون الوحيدون على حدوث الفشل، وبالمقابل فإنهم يجدون في نجاحهم المهني الاطمئنان والثقة في الذات ومضاعفة الطموح. ولهذا السبب لوحظ انخفاض الانتحار في مراحل النمو المخطط كما حدث في بعض الدول الغربية بعد الحرب العالمية الثانية، كما بقي ثابتا في دول أخرى.

فحسب مصطلحات دور كايم عرفت الأشكال الجديدة للتطور الاقتصادي والعمل كيف تنتج أشكالا جديدة للاندماج بين الأفراد.

غير أن أبحاث انجليهارت بكل ما حملته من تطور للفردانية الخلاقة وتثمين أشكال التعبير عن الذات لها جانب آخر، فالأشكال الجديدة للفردانية الخلاقة لا توجد موزعة بطريقة متساوية على كافة طبقات الهرم الاجتماعي للدول المتطورة.

فلتحقق السعادة في العمل لا بد من توفر مجموعة من الظروف، هذه الأخيرة متواجدة أكثر في المهن العليا التي تحتاج إلى شهادة وذات الأجر المرتفع، والمهن الفكرية وذات المنصب الدائم أكثر منه في حالة العمال المؤقتين، أو عمال المطاعم السريعة، فكلما كان هناك توازن بين ما نبذله وما نحصل عليه كلما كان الاعتراف بمساهمتنا المهنية أحسن.

فالمال لا يجلب السعادة، ولكنه يمثل عاملا قويا في تحقيق السعادة والرضي المهني. في الواقع الأشخاص الذين يعلنون عن رضاهم التام عن عملهم هم أصحاب المهن الحرة، الإطارات السامية، رؤساء المؤسسات، والأساتذة، وكل المهن المثمنة اجتماعيا، حيث يمتلكون هامشا عريضا للمبادرة ... كما أنهم استطاعوا اختيار المهنة التي يمارسونها، ولديهم إمكانية التعبير عن الذات، ويتمتعون بهيبة عالية[11]، وبالتالي فالفئات العليا في المجتمعات المتطورة هي التي

---

[11] - Ibid ; p 108.

استفادت من الانعكاسات الايجابية للتطور الاقتصادي في المجال الاستيراتيجي: الثقة بالنفس، تقدير الذات والاندماج المنسجم مع المحيط، فليس من المستغرب أن تكون هذه الفئات العليا هي الأكثر حماية من مخاطر الانتحار في وقتنا الحالي، عكس ما كان عليه الحال في القرن التاسع عشر. لكن التطور لم يكن المسؤول المباشر عن نسب الانتحار في تلك الفترة بل مجموع الانقلابات الاجتماعية التي رافقته كأسباب أو كنتائج له هي التي كانت تعمل في نسبة الانتحار.

وفي المجتمعات التي يتم فيها التطور بمنطق تنبئ أكثر، يمكن للفاعلين رسم استيراتيجياتهم الشخصية. إذن نمو الثروة ليترجم مباشرة بالارتفاع المستمر والحتمي في نسب الانتحار، فهو يبقى مرتفعا لكن لا يتطور.

ومن بين الدراسات التي أجريت في العالم العربي على ظاهرة الانتحار الدراسة التي أجراها جمال الطويقري عام 1997-1999 في مستشفى الملك فهد للحرس الوطني في مدينة الرياض على 156 حالة انتحار تؤكد أن الأهالي لا ينظرون لمحاولة الانتحار، خاصة إذا كان المنتحر من ذوي اضطرابات الشخصية، فنجدهم ينتقلون به من مستشفى لآخر في كل محاولة خوفا من الفضيحة، أو خوفا من أصابع الاتهام التي ستشير لهم بالإهمال أو الإيذاء، وأشارت الدراسة أن أكثر المقدمين على الانتحار في السعودية من النساء، وذلك بنسبة 80%، وإذا كانت هذه النسبة تقل عن مثيلاتها في الدول العربية الأخرى. وتؤكد دراسة الطويقري أن كثيرا من الأطباء السعوديين لا يكتبون في تقاريرهم على أنها حالات انتحار، بل يكتفون بكتابة عبارات مثل: جرعة زائدة من الدواء أو علاج خاطئ.[12]

وكشفت دراسة أجراها ثلاث من كبار أطباء الأعصاب والأمراض النفسية التونسيين أن نسب الانتحار ارتفعت بشكل مفزع في تونس، وأصبحت تفوق ما هو عليه الوضع في أغلب الدول العربية.

وتقدر بعض المصادر عدد محاولات الانتحار سنويا بواحد في الألف، أي أن زهاء عشرة آلاف تونسي من مجموع عشرة ملايين يحاولون الانتحار كل عام، لكن فرق الإسعاف تنجح في إنقاذ أغلبهم. وقالت الدراسة أن هناك أسبابا عديدة وراء هذه الظاهرة، منها أفلام العنف للصغار والكبار، الأغاني التي تشجب الحبيب الغدار والخليلة الخائنة والطموحات التي باتت بلا حدود، وأوهام نشرتها آلاف القنوات الفضائية في كل بيت، وسلوكيات غربية في الأحياء الشعبية والعتبة على حد سواء.

---

[12] - أنظر- موضى الزهراني لماذا الانتحار؟" جريدة الوطن السعودية، العدد 01696، النسخة الخامسة، 22 مايو.

وكانت النتيجة التي أوردها الأطباء النفسانيون أنور جراية وجودة بن عبيد ووسيم السلامي في دراستهم عن ارتفاع نسبة محاولة الانتحار في تونس خلال الخمسين سنة الماضية، بشكل مفزع إلى درجة أن هذه النسبة جعلت تونس قريبة من نسب بعض الدول الغربية، أي ما بين حالة وحالتين عن كل ألف ساكن، ويعتبر عالم النفس الدكتور رياض بن رجب أن الخطر لا يهم شباب تونس فقط، بل كامل العالم العربي بسبب ما يصفه بتردد العرب والمسلمين في التعامل مع علم النفس التحليلي الذي أسسه فرويد منذ أكثر من قرن، فرويد الذي فسر جانبا من الأزمات النفسية بالعوامل الجنسية.

لكن عالم الاجتماع التونسي عبد الوهاب محجوب يعتبر أن ارتفاع نسبة الانتحار في صفوف الفتيات والشباب مرتبط بتفاقم الاضطرابات النفسية عند الطفل والشاب، والأزمات الاجتماعية العصرية، ويقول أن هذه الأزمات ناجمة عن التناقض بين قيم عربية وإسلامية مثالية، وواقع انتشرت فيه قيم مادية جديدة، منها إباحة العنف اللفظي والمادي، والتحايل والسرقة بأنواعها، إلى جانب تراجع تأثير قداسة الأب والمعلم والجد الكبير، وانتشار أزمة ثقة في ممثلي القانون والدولة من رجل الأمن العادي إلى المسؤول السياسي الكبير.

هذه رايات حمراء رفعها علماء النفس والاجتماع والأطباء والأولياء، ولكن لا أحد يملك العصا السحرية لوقف سلوكيات الانتحار؟[13]

أما في المغرب، فقد كشفت سجلات الشرطة القضائية المغربية عن حدوث أكثر من 130 حالة انتحار ما بين سنتي 2006 و2007، وتأتي مدينة الدار البيضاء في مقدمة المدن التي عرفت نسبة مرتفعة من حوادث الانتحار، إذ بلغت تلك النسبة 23.86%. كما تم تسجيل 22 محاولة انتحار في المدينة ذاتها في عام 2007. وتأتي المدن الأخرى كمراكش ومكناس وفاس وطنجة في المرتبة الثانية من حيث حوادث الانتحار.

وبحسب التحريات التي قامت بها المصالح الأمنية المختصة للكشف عن ملابسات وظروف حالات الانتحار المسجلة، فإن الأسباب الكامنة وراء السلوك الانتحاري، أو إقبال المغاربة على الانتحار يقف وراءها الحب والمال، وبحسب سجلات الأمن تأتي العاطفة على رأس الدوافع الأولى التي تجعل المغاربة يقدمون على الانتحار.

وقد سجلت المحاضر في عدد من حالات الانتحار أن أصحابها إما يقدمون على الانتحار لأنهم فقدوا عزيزا على قلوبهم، وإما لفشلهم في الوصول إلى قلب حبيب لم يعب بهم أو عشيق (أو عشيقة) تنكر لهم.

---

[13] - أنظر- تقرير كمال بن يونس، بي بي سي، تونس، الثلاثاء 05 ابريل 2005، GMT05.31

ويأتي المال كعامل اقتصادي ثان وراء إقدام المغاربة على الانتحار، فالبطالة التي ترادف الفقر في دول العالم الثالث، ثم الانتكاسات المالية وضياع الأسهم والصفقات تقف وراء بعض حالات الانتحار، خاصة في مدينة الدار البيضاء التي تكثر فيها المضاربات والمرافعات التجارية، وسجلت حالات الانتحار أن أصحابها فضلوا الشنق على باقي أساليب الانتحار الأخرى.

وحسب أخصائيين نفسيين فإن الضغوط النفسية المولدة لحالات اكتئاب قصيرة أو طويلة المدى، بالإضافة إلى عوامل اجتماعية أخرى من شأنها أن تساهم في تنمية ميول انتحارية بنسبة 18% بخصوص الفئة العمرية ما بين (20 و30 سنة)[14].

مفاهيم الدراسة:

1ــ مفهوم الانتحار:

الانتحار لغة هو "عملية قتل الذات بذاتها"، وهو مفهوم مشتق من كلمة مركبة من أصل لاتيني من فعل "caedere" بمعنى" يقتل" والاسم "sui" بمعنى النفس أو الذات[15].

ونقلت هذه الكلمة بكاملها إلى الفرنسية على يد الأب دي فينتين في النصف الأول من القرن 18 سنة 1737 على وجه التحديد.

وفي العربية يفيد الانتحار معنى مماثل، فالكلمة مشتقة من "نحر" أي ذبح وقتل، وانتحر الشخص أي ذبح نفسه وقتلها، وقد استعملت كلمة "بخع نفسه" في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، ونصوص التاريخ الإسلامي مرادفة للانتحار، وتعني أهلك نفسه وأنهكها غما[16].

ويعرفه دور كايم (E.Durkheim) "الانتحار نتيجة مباشرة أو غير مباشرة لفعل إيجابي أو سلبي نفذ عبر الضحية ذاتها، والتي كانت تعلم مسبقا بحيثيات النتيجة"[17].

فدور كايم لا يأخذ بالقصد في الانتحار، فالجندي الذي يواجه الموت لإنقاذ فرقته لا يقصد الموت.

وقد أشار اسكيرول (Esquirol) (1832) (مؤسس مدرسة الطب العقلي) على الرغم من أنه لم يتعرض لمفهوم الانتحار مباشرة إلى عزل السلوك

---

[14] - أنظر- محمود أحياتي، "الحب والمال وراء انتحار في المغرب"، جريدة القبس الكويتية، العدد 12229، السنة 36، الاثنين 18 يونيو2007.

[15] - فخري الرباح، الموت...اختيارا (دراسة نفسية اجتماعية موسعة لظاهرة قتل النفس)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1968، ص7.

[16] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[17] - Durkheim.E. le suicide.P.U.E, quadrige, Paris, 1983, p 3.

الانتحاري عن أفعال التضحية باختيار فردي أو تحت قهر جماعي، لأن التضحية ليست سلوكا مرضيا كالانتحار، ولكنها موضع إعجاب[18].

ويؤكد هالفكس (M.Halbwachs) (عالم الاجتماع الفرنسي) التفرقة، فيميز بين السلك الانتحاري الإرادي، وبين أشكال الموت الإجباري، وأهمها التضحية، فالانتحار هو "كل حالة موت ناتج عن فعل يأتيه الضحية بنفسه بقصد قتل نفسه وليس هو بالتضحية"[19]، فالسلوك يكون انتحاريا عندما يقوم الفرد بقصد قتل ذاته دون أي تحريض لقيمة اجتماعية ما.

2ـ مفهوم محاولة الانتحار:

في الانتحار الفاشل رغبة الموت موجودة، إلا أن السلوك الانتحاري غير محكم التنفيذ، لذلك لا ينتهي هؤلاء إلى الموت، إنهم يحاولون تدمير ذاتهم، لكنهم يفشلون، وذلك إما لسرعة تدخل المحيط لإنقاذهم، وإما اضعف التدبير لعملية الانتحار، والفرق شاسع بين الحالتين.

ففي الأولى القرار حاسم بالاستقالة من الحياة بالرحيل عن هذه الدنيا التي يعتبرونها لا تساوي شيئا ذا قيمة، ولا تستحق الحياة، وهي تقارب أو توازي بالحدة والفعل الانتحار "الناجح" ولا تقل خطورة عنه.

أما الثانية لدى الضعف في التدبير لعملية الانتحار فليس الهدف الموت، بل توجيه رسالة ابتزاز أو نداء أو استغاثة للآخرين، لذلك يأتي التدبير ضعيفا غير متماسك، وفي بعض الأحيان يعلنون للآخرين رغبتهم في الانتحار قبل الشروع فيه بدقائق معدودة، ويحددون لهم الطريقة والمكان والزمان[20].

لكن هناك بعض الباحثين يعتبرون أن خطورة المحاولة الانتحارية لا يجب أن تكون مؤشرا ذا مصداقية في تحديد درجة النية لدى الفرد الذي قام بالفعل، فالبعض قد يتناولون القليل من الأدوية بغرض ترك فرصة لإنقاذهم من طرف الآخرين، ولكن لسوء الحظ أساءوا حساب الآثار الناجمة عنها، ويتم إيجادهم على وشك الهلاك، وبعض الأشخاص يتناولن كميات كبيرة من الأدوية بنية قاطعة لوضع حد لحياتهم، لكنهم يتقيؤون كل ما ابتلعوه دفعة واحدة، أو أنهم يتم إنقاذهم صدفة بسبب هذه الاختلافات، هناك باحثون آخرون جمعوا كل محاولات الانتحار في صنف واحد، حيث لا يفرقون بين درجة النية أو الرغبة.

---

[18] - تكفي كلثوم، الانتحار في المجتمع الجزائري، ماجستير في علم الاجتماع العائلي، جامعة الجزائر، 1995-1996، ص44.

[19] - تكفي كلتوم، مرجع سابق، ص 44.

[20] - أحمد عياش، الانتحار، دار الفارابي، 2003، ص73.

فتبين الأبحاث أنه يمكن حساب 100 محاولة انتحار مقابل انتحار واحد، ومن بين التفسيرات لهذا العدد الكبير لمحاولات الانتحار مقابل العدد الصغير بالنسبة للانتحار هو أن اعتقادهم (أي المحاولون للانتحار) في أن حل مشاكلهم لن يتم إلا باللجوء إلى الانتحار دون اللجوء إلى حلول أخرى قد تغيرت جذريا في آخر لحظة، مما دفعهم إلى استعمال طرق أقل حدة أدت إلى فشل قتل الذات.

كما أن هناك مقاربة أخرى لمقارنة الانتحار بالمحاولة الانتحارية للباحث (Kreitman) وبعض الباحثين الآخرين خاصة في أوربا، والذين يستعملون أو يفضلون مصطلح "شبه الانتحار para suicide "مبررين اختيارهم هذا بكون خصائص من ينتحرون تختلف تماما عن خصائص محاولي الانتحار، حسب هؤلاء الباحثين فإن حالات (شبه الانتحار) يتميزون ببذل مجهودات غير عنيفة أو غير حادة لقتل أنفسهم، وهؤلاء يختلفون عن أولئك الذين أكملوا عملية الانتحار وماتوا عن طريقها.

أشكال الانتحار:

اعترف دور كايم منذ البدء بتعدد القوى التي يمكن أن تقود إلى الانتحار وتناقضها، وأن هناك أنواعا مختلفة من الانتحار بقدر تنوع أشكال القوى الاجتماعية التي تسببه، ويصل دور كايم فيما بعد إلى تحديد هذه الأشكال على النحو الآتي:

ـ **الانتحار الأناني:** هذا النوع لا يرجع إلى مشكل أخلاقي لدى المنتحر، بقدر ما يعود إلى شكل من أشكال الحياة الاجتماعية، والتي يجد الفرد نفسه فيها متحررا من ضغوط قواعد هذه الحياة، فعندما يكون ارتباط الفرد بالجماعة ارتباطا ضعيفا، يبدو الفرد فاقدا لتأثير الجماعة عليه، وبالتالي لايعير أي اهتمام لجماعته إذا ما ساوره أي ميل للانتحار بسبب بعض المشاكل الطارئة، كما أنه في هذه الحالة لا يعتقد بأن انتحاره سيرتب نتائج على الجماعة. فالفرد لا يستطيع تكوين علاقة طبيعية مع المجتمع لعدم تذوقه لقوانين وعادات وتقاليد المجتمع، وسخطه على نظامه ووصفه العام، والمجتمع من جانبه لا يعطي المجال للفرد بالتفاعل معه والانتماء إلى مؤسساته البنيوية نظرا لتناقض ميوله واتجاهاته ومصالحه وأهدافه وقيمته مع تلك التي يتمسك ويؤمن بها الفرد، لذا يشعر الفرد بالبعد والاغتراب عن المجتمع. وهناك يفقد آماله وطموحه ويضع كل شيء له علاقة بالمجتمع، ويفشل في تذوق ثمرة عمله ومجهوداته، لذا تنعدم عنده معاني الحياة السامية، ويفقد مقاييسه ومثله وقيمه، وبعد ذلك يصاب بمرض نفسي خطير قد يؤدي به إلى

الانتحار، وهذا النمط من الانتحار دائما ما يصاب به الأشخاص المعدمون والمحرومون والذين يعانون من الأمراض النفسية والعقلية.[21]

ـ **الانتحار الإيثاري:** يعتبر الانتحار الإيثاري أو التضحية في سبيل الآخرين مناقضا من حيث أسبابه ودوافعه للانتحار الأناني (العزلة الاجتماعية)، فهو ناتج عن شدة تماسك وانسجام الفرد مع جماعته، وقوة علاقته الاجتماعية معها. ذلك أن جماعته كما يعتقد لها أهميتها وفاعليتها في وجوده وكيانه، فهو لا يستطيع العيش دون وجودها، ويكون معتمدا عليها، ومتأثرا بتعاليمها وفلسفتها وأساليبها السلوكية، كما يكون مستعدا للتضحية بماله ونفسه من أجل بقائها واستمرارها إذا تعرضت للخطر والتهديد. وعندما تتعرض الجماعة هذه لخطر العدوان أو التفكك فإنه يقوم بالدفاع عنها بكل ما يملك من قوة وبأس، في أحيان كثيرة ينتهج الصيغ الانتحارية لإنقاذها من مأزق التشتت والانقراض، وإذا فشل في إنقاذ الجماعة من الخطر فإنه يقوم على الانتحار علما بأنه لا يستطيع العيش بدونها، ولا يريد مشاهدة وضعها البائس والمشتت بعد فشلها في درء الأخطار والتهديدات. وما العمليات الانتحارية التي قام بها الضباط الطيارون اليابانيون ضد قوى الحلفاء إبان الحرب العالمية الثانية إلا المثال الحي لهذا النوع من الانتحار.

ـ **الانتحار اللامعياري (اللانومي)[22]:** يظهر هذا النوع من الانتحار عندما يفشل المجتمع في السيطرة على سلوك وعلاقات أفراده، وعندما تتفسخ الآداب والأخلاق والقيم، وتضعف العادات والتقاليد، وتعم الفوضى والفساد في ربوع المجتمع، وهنا يفقد الفرد آماله وطموحاته وتضعف أو تنعدم عنده الرغبة في التفاعل مع الآخرين والانسجام معهم.

وعندما يشعر الفرد بعدم قدرته على وضع حد للقيم والأهداف المتفسخة والشاذة وعدم تغيير المجتمع نحو الأحسن، فإنه يصاب باليأس والقنوط وانعدام الآمال والأهداف. ومثل هذه الحالة تلحق به المرض النفسي والكآبة والاشمئزاز من الحياة، وجميع هذه العوامل قد تقوده إلى قتل نفسه والتخلص من الحياة. إذن فالتفسخ (التفكك) الاجتماعي الذي يعبر عن نفسه في ارتباك موازين الحياة واضطراب قيمها ومقاييسها وتشتت آمال وأهداف الفرد وتناقض مصالح الفرد مع مصالح المجتمع لابد أن يدفع عددا غير قليل من أبناء المجتمع إلى السلوك الانتحاري. والأفراد الذين يتعرضون لهذا النمط من الانتحار هم غالبا المطلقون والمطلقات والمسنون.

---

[21] - إحسان محمد الحسن، مبادئ علم الاجتماع الحديث، ط1، دار وائل للنشر، الأردن، عمان، 2005، ص135.

[22] - المرجع نفسه، ص، ص 136-137.

الإطار النظري:

لقد جعلت السوسيولوجيا مبكرا موضوع الانتحار في مركز اهتماماتها، في الواقع لقد وضع الانتحار ديناميكية التماسك الاجتماعي على المحك، وجعلها محل تساؤل وهو يشكل ظاهرة مفضلة من أجل فهم الرابط بين الفرد والجماعة، وبين علم النفس وعلم الاجتماع، كما مثل تحليل ظاهرة الانتحار مركزا وبؤرة اهتمام المحاولات الأولى للسوسيولوجيا الامبريقية.

فإذا ما ذهبنا وراء الأسباب أو الاستعدادات الفردية التي يعنى بها علم النفس الفردي فإنه يمكننا التساؤل عما إذا كانت هناك قوى اجتماعية، أو بالعكس ثغرات داخل مجتمع معين قد تسمح لنا بفهم أحسن لسبب تزايد الانتحار ضمن ثقافة معينة مقارنة بثقافة أخرى.

بالرغم من أن قضية الانتحار قد تم تناولها قبله إلا أن دور كايم في كتابه "الانتحار" الذي ظهر في نهاية القرن التسع عشر قد بين من خلال تحليله للإحصائيات الأوربية عن الانتحار أن هذا الموضوع لا ينتمي حصريا إلى مجال الأخصائيين في الأمراض العقلية، ولكنه بالأحرى سلوك اجتماعي ينتج عن طريق قوى اجتماعية تتجاوز الفرد[23]، لهذا كان دور كايم في حاجة منذ البداية لتوضيح وطرح نظرته الخاصة بطريقة علمية ومنهجية من أجل التأسيس لمشروعه السوسيولوجي، حيث بدأ دراسته بتعريفه للظاهرة المدروسة، ثم واصل بحثه بضحد التفسيرات السابقة، ليصل فيما بعد إلى تحديد أشكال الانتحار[24].

وتقوم الدعاوى الأساسية عند دوركايم في التفسير السوسيولوجي للانتحار على أن التكامل الاجتماعي أو قوة الروابط الاجتماعية التي توجد بين أعضاء المجتمع يؤثر في احتمالات حدوث الانتحار، وقد بين أن تعميمه النظري هذا يمكن أن يفسر الحقائق الكثيرة المعروفة عن سبب الانتحار.

وقد توصل دور كايم بعد مقارنته لعدد معتبر من جداول الإحصائيات الموجودة في أرشيفات الدول الأوربية آنذاك على وجود علاقة ارتباط بين نوع الانتماء الديني وسبب الانتحار. فالكاثوليك يتميزون بمعدلات انتحار أضعف من تلك التي يتميز بها البروتستانت وفي نفس الديانة نجد الانجلكانيين الذين يقتربون في عبادتهم من الكاثوليكية يتميزون بنسبة أقل من الانتحار منها عند أشكال البروتستينية الأخرى.

---

[23] - Mishara.B. tousiguant.M.comprendre le suicide. P.ed.M.2004.pp16.

[24] - Aron.R.les étapes de la pensée sociologique.ed.cérès.vol 2.1994.p410.

مشكلة الدراسة:

يعتبر الانتحار من أخطر المشكلات التي تقلق الباحثين وأفراد المجتمع ككل، وأصبحت تشكل مشكلة صحة عمومية، ومما يزيد من خطورة هذه الظاهرة ويستدعي دراستها هو تضاعف الأرقام الإحصائية التي تسجلها سنويا منظمات الصحة الدولية والعالمية، فهناك انتحار كل 40 ثانية في هذا العالم.

وتعد الدول العربية من الدول التي لا توفر معلومات دقيقة وذات مصداقية عن سبب الانتحار والمحاولات الانتحارية التي تحدث يوميا، وذلك لطبيعة البنى الاجتماعية والثقافية والعقائدية السائدة فيها من جهة، وانعدام وكالات أو مراكز بحثية مستقلة عن الدوائر الرسمية قادرة على توفير المعلومات بكل حيادية، كما يدفع الباحث في ميدان الانتحار في غالبية هذه الدول إلى اعتماد مصادر أخرى كالجرائد وصفحات الانترنت.

إن الحديث عن تزايد ظاهرة الانتحار في المجتمعات الغربية قد يجد له مبررا نظرا للابتعاد الكلي عن الدين والخواء الروحي الذي يميز الفرد في تلك المجتمعات، غير أن انتشار هذه الظاهرة في المجتمعات العربية والإسلامية يجعلنا نتساءل عن الأسباب والعوامل المساهمة في تطورها المضطرب، خاصة في السنوات الأخيرة، فهل لضعف الوازع الديني والتخلي عن القيم والأخلاق الإسلامية من أثر على تزايد السلوكيات الانتحارية؟ أم يعود الأمر إلى الفقر والبطالة والأزمات الاجتماعية والاقتصادية والأمنية المتعددة التي تعرفها غالبية الأقطار العربية، والتي جعلتها في ذيل الترتيب العالمي في كل المجالات؟ مما ولد مشاعر اليأس والإحباط لدى الفرد العربي، وأمام قلة الحيلة وضعف العزيمة في إحداث التغيير المرغوب نحو الأفضل، والإحساس بالإقصاء والتهميش الاجتماعي والحرمان من تلبية الاحتياجات من السلع والخدمات والوصول إلى المراكز والمكانات المرموقة في المجتمع، كل هذه العوامل قد تدفع بالفرد في لحظة معينة إلى التفكير ثم اللجوء إلى التخلص من حياته التي لم تعد في نظره تستحق أن تعاش.

ومن هنا تتلخص الإشكالية الحالية في محاولة للكشف عن أهم المتغيرات المحفزة أو الدافعة للسلوك الانتحاري في الشرق الجزائري خاصة، والجزائر بصفة عامة، وذلك من خلال قراءة وتحليل إحصائيات السلوك الانتحاري بثلاث ولايات ساحلية تقع في الشمال الشرقي للجزائر، والتي تم الحصول عليها من مصالح الأمن الولائي، ومصالح الحماية المدنية لكل ولاية، وذلك للفترة الممتدة من 2000 إلى 2006، ذلك أن الإحصائيات تعتبر الوسيلة الأفضل لدراسة ظاهرة الانتحار من جهة، ومن جهة أخرى لا يمكن أن تخضع هذه الظاهرة للملاحظة المباشرة، كما تخضع بصفة قليلة للمقابلة.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى رصد وتحليل مجموعة من المتغيرات المتعلقة بالسلوك الانتحاري في بعض ولايات الشرق الجزائري للفترة الممتدة من 2000

إلى 2006، وذلك من خلال الإحصائيات التي تم الحصول عليها من الجهات الحكومية الرسمية، وبالاعتماد على مجموعة المتغيرات التالية:

1ــ السلوك الانتحاري حسب السن.
2ــ السلوك الانتحاري حسب الجنس.
3ــ أثر الحالة المدنية على السلوك الانتحاري.
4ــ الطرق والوسائل المستعملة في السلوك الانتحاري.
5ــ السلوك الانتحاري حسب فصول السنة.
6ــ السلوك الانتحاري حسب اليوم والعملية.
7ــ السلوك الانتحاري حسب أيام الأسبوع.
8ــ السلوك الانتحاري حسب مكان الإقامة (حضري- ريفي).
9ــ العوامل المؤدية إلى السلوك الانتحاري.

الإجراءات المنهجية للدراسة:

تعتبر هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التحليلية لمجموعة من الإحصاءات المتعلقة بالسلوك الانتحاري، وقد اعتمدت على مجموعة من الإجراءات المنهجية التي ساعدت في تحقيق أهدافها على النحو التالي:

ــ **مصادر البيانات وتحليلها:** جرت الاستعانة بمجموعة من الدراسات والكتابات والمقالات التي عالجت موضوع الانتحار والسلوك الانتحاري، وقد اعتمدت الدراسة بصفة أساسية على إحصائيات مصالح الأمن الولائي لكل من ولاية بجاية وسكيكدة، ومصالح الحماية المدنية لولاية جيجل للفترة الممتدة من سنة 2000 إلى سنة 2006، بالنسبة لولايتي جيجل وبجاية، والفترة من 2000 إلى 2004 بالنسبة لولاية سكيكدة.

ــ تم جمع البيانات وتحليلها ووضعها في جداول ورسوم بيانية.

ــ **مجتمع الدراسة وحجم العينة:** يتكون مجتمع الدراسة من سكان الولايات المذكورة الذين انتحروا أو شرعوا في الانتحار وفق الإحصائيات من العام 2000 إلى العام 2006، والبالغ عددهم (485)، وتشكل بذلك عينة الدراسة.

الصعوبات المنهجية:

إن الصعوبات المنهجية في دراسة وتفسير ظاهرة الانتحار أو الشروع فيه تكللها العديد من الصعوبات المعروفة، كعدم الإعلان عن الانتحار من طرف الأهل لأسباب عاطفية أو دينية، عدم تسجيل محاولات الانتحار عند معالجتها في المصالح الاستعجالية، أو عند الأطباء الخواص، كما أن تقنية الإحصاء تختلف من بلد لآخر، وحتى من جهة لأخرى في نفس البلد، حيث الأرقام لا تعبر بصدق عن واقع الظاهرة (خاصة في دول العالم الثالث)، والتي في الغالب لا يتم إعطاؤها حجمها الحقيقي لأسباب عدة. مما يجعل الاختلافات في بعض الأحيان كبيرة بين الدول.

تحليل النتائج:

سيشمل تحليل النتائج على مجموعة من المحاور قسمت على النحو التالي:

1ــ السلوك الانتحاري حسب السن.
2ــ السلوك الانتحاري حسب الجنس.
3ــ أر الحالة المدنية على السلوك الانتحاري.
4ــ الطرق والوسائل المستعملة في السلوك الانتحاري.
5ــ السلوك الانتحاري حسب فصول السنة.
6ــ السلوك الانتحاري حسب اليوم والعملية.
7ــ السلوك الانتحاري حسب أيام الأسبوع.
8ــ السلوك الانتحاري حسب مكان الإقامة (حضري-ريفي).
9ــ العوامل المؤدية إلى السلوك الانتحاري.

تحليل النتائج:

يتضمن تحليل النتائج في السلوك الانتحاري لدى الجزائريين على مجموعة من المحاور على النحو الآتي:

1ــ السلوك الانتحاري حسب السن.
2ــ السلوك الانتحاري حسب الجنس.
3ــ اثر الحالة المدنية على السلوك الانتحاري.
4ــ الطرق والوسائل المستعملة في السلوك الانتحاري.
5ــ السلوك الانتحاري حسب فصول السنة.
6ــ السلوك الانتحاري حسب اليوم والعملية.
7ــ السلوك الانتحاري حسب أيام الأسبوع.
8ــ السلوك الانتحاري حسب مكان الإقامة (حضري-ريفي).
9ــ العوامل المؤدية للسلوك الانتحاري.

1ــ السلوك الانتحاري حسب السن:

من خلال الرسوم البيانية الخاصة بالسلوك الانتحاري لكل من ولايتي جيجل وسكيكدة نلاحظ أن الفئة الأكثر إقداما على الانتحار والمحاولة الانتحارية هي فئة الشباب الممتدة أعمارهم من 20 إلى 49 سنة، حيث تعتبر هذه الفئة الأكثر إقبالا على الانتحار بولاية جيجل بنسبة تقدر بـــ 83.86% من مجموع المنتحرين للفترة (2000-2006)، كما نجد نفس الأمر يتكرر بالنسبة لولاية سكيكدة، إذ تتميز هذه الفئة بأعلى نسبة، في حين أن نسب الانتحار عند كبار السن من 50 سنة فما فوق تكاد تكون منعدمة، حيث قدرت على سبيل المثال في ولاية جيجل بـــ 2.41% من مجموع المنتحرين للفترة المذكورة أعلاه. (أنظر الرسم البياني رقم 1).

إن هذه النتائج تأتي على عكس الفرضية الصحيحة حتى الآن، ومنذ دور كايم والقائلة بأن الانتحار يتزايد حسب السن مهما كان الجنس، الحالة العائلية ومكان الإقامة[25]، فهذا صحيح في أغلب المجتمعات الغربية، لكنه يبدو غير ذلك في المجتمع الجزائري والمغاربي بصفة عامة، فحسب دراسة ابيديميولوجية أجريت في المستشفى الجامعي بقسنطينة سنة 1987 من طرف البروفسور بن سماعيل فقد تم التوصل إلى الخصائص أو السمات الكبرى للمنتحر المغاربي، ومن بينها أنه شاب بالغ، حيث وجد أن 80% من المنتحرين لا يتجاوز سنهم 40 سنة[26]، ويعود هذا لسببين إثنين على الأقل حسب اعتقادنا:

1ــ طبيعة مرحلة الشباب.

2ــ المكانة التي يتمتع بها ذوي السن الكبيرة.

1ــ طبيعة مرحلة الشباب:

حيث تعتبر مليئة بالضغوطات والصعوبات وكذا الطموحات، خاصة في مجتمع في طريق التحول "فمنذ الاستقلال عرف المجتمع الجزائري عمليات تثاقف مكثفة ومتواصلة خاصة في المراكز الحضرية الكبيرة، ففي اقل من عشرية تحولت الصورة السوسيوثقافية بصفة راديكالية، أن التفتت المتزايد للمجتمع والقيم التقليدية، وكذا النزوح الريفي نحو المدينة وظهور الصناعات الثقيلة غير المكيفة في الغالب مع البيئة الاجتماعية المحلية بالإضافة إلى التمدرس المكثف وغير النوعي بصورة كافية، والتحضر الجيد والفوضوي مع ظهور البيوت القصديرية، أو ما يسمى بأحزمة الفقر حول المدن... كل هذا ساهم في خلق واثارة مشاكل وسوء تكيف على المستوى السوسيومهني، وقد زادت كثافة هذه الظواهر السيكو اجتماعية منذ السنوات الأخيرة مع دخول البلاد في أزمة اقتصادية حادة بالإضافة إلى زيادة ديموغرافية كبيرة، مما أدى في ظل هذا الجمود الاجتماعي إلى تفاقم مشكل البطالة وظهور أزمة سكن حادة نتج عنها سوء معيشة الشباب وفقدان الأمل من طرفهم وزيادة على هذا كله أزمة ثقافية وأزمة هوية عميقتين، ففي وضعية الأنومية الاجتماعية بمصطلح دور كايم فإن التزايد المستمر للسلوكات الانتحارية أمر لا يصعب تجنبه"فانه ليس لكون الشباب شبابا فهم ينتحرون أكثر بل لكونهم الفئة الأكثر عرضة لأثار الانقلابات الاجتماعية والتي تؤثر على البناء الهوياتي لديهم"[27].

أما السبب الثاني فيتمثل في: المكانة التي يتمتع بها ذوي السن الكبيرة:

---

[25] - Mourice gerard, le suicide, affaire moin privé qu'on le pense, science et vie, avril 1985, n 871, pp 42-46.

[26] - Belkacem bens mail, suicide et culture au maghreb, suicide et culture, l'harmattan, paris, France, 1999, p17.

[27] - ibid, p 18.

منذ بداية السبعينات إلى يومنا هذا لعب تحسن الظروف السوسيو اقتصادية، وزيادة التغطية الصحية ومجانية العلاج دورا كبيرا في زيادة الأمل في الحياة (l'espérance de vie)، في نفس الوقت وعكس ما هو حادث في الدول الغربية على سبيل المثال فرنسا والتي تعرف ارتفاعا في عدد المسنين ذوي أكثر من 60 سنة، والذي يصل عددهم 5/1 سكان فرنسا، فان الفئة العمرية الأكثر من 65 سنة تمثل أقلية جدا من عدد الإجمالي للسكان في الجزائر، حيث أن النمو الديمغرافي قد أحدث توسعا هاما في قاعدة هرم الأعمار لدى الجزائريين، مع سيطرة لفئتي الأطفال والمراهقين. وبالرغم من التغيرات الاجتماعية وما صاحبها من استبدال التقليدي بما هو حديث والمحلي بالوافد، وضعف أو تراجع القيم التقليدية والذي كان حساسا خاصة في المحيط الحضري، فإن المسن وأمل احتلاله المكانة الرفيعة داخل الخلية الأسرية أنه يلعب دور الوسيط والذي يتدخل في تربية أحفاده وحل النزاعات العائلية، فالشخص المسن يتمتع بقيمة وشرف ويتلقى عبارات الشكر والامتنان من طرف الجميع، ويستشار عند اتخاذ القرارات الحاسمة، كما يجمع له أبناءه الأموال من أجل تمكينه من أداء فريضة الحج، حيث يعود من البقاع المقدسة بالمكانة المرموقة التي يعبر عنها بلقب "الحاج"، إذ يتم الاحتفال بالعودة من طرف الأسرة ويدعى لها الأقارب والأحباب والأصدقاء، كما يظهر هذا الاحترام والتقدير كذلك على مستوى علاقات المسن الاجتماعية، حيث يلقبون بألقاب محترمة وتمحل قيمة اجتماعية خاصة، مثل "أب"، "عم"، "حاج" بالنسبة للرجال، و"أم" أو "حاجة" بالنسبة للنساء.

إن التخلي عن المسنين حتى أولئك ذوي المستوى الثقافي الضعيف أو ذوي الاضطرابات السلوكية يبقى نسبيا نادرا، أن هذا التوجه الجماعي مدعم من خلال أثر القيم الإسلامية التي تجعل من طاعة الوالدين فرضا، وواجبا على كل ابن، يتعرض من يخترقه إلى عذاب الله باعتباره ارتكب كبيرة من الكبائر. يقول تعالى: "**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لها أف ولا تنهرهما، وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا**"[28].

من المحتمل أن بقاء مثل هذا الاندماج الاجتماعي بالإضافة إلى شبكة علائقية وعاطفية تؤدي بالمسن إلى المحافظة على احترام الذات بفضل هذا الأمر يمكنهم مواجهة بقوة مرحلة الشيخوخة والانفلات من الاكتئاب والرغبة في الموت، مما يفسر المعدلات الضعيفة أو المعدومة للانتحار عند المسنين في المجتمع الجزائري.

2ـ الانتحار حسب الجنس:

---

[28] - القرآن الكريم سورة الإسراء، الآية 23.

من خلال الإحصائيات الخاصة ببعض ولايات الشرق الجزائري يبدو أن الانتحار فعل رجالي أكثر منه نسائي، حيث تشير إحصائيات الانتحار الكامل لسنوات 2000-2006 بولاية بجاية أن 81.88% من مجموع المنتحرين كانوا من الذكور، مقابل 18.11% فقط من الإناث، كما لا نجد فروقا جوهرية من سنة لأخرى، إذ أن أعلى نسبة للذكور المنتحرين سجلت سنة 2006 بـــ 91.30% مقابل 8.64% إناث منتحرات، مع العلم أن اخفض نسبة انتحار لكلا الجنسين سجلت في هذه السنة كذلك، حيث قدرت بـــ 8.01% من مجموع المنتحرين طول فترة الدراسة، كما نجد اخفض نسبة للذكور المنتحرين سجلت سنة 2000 بـــ 72.72% مقابل 27.27% إناث، وهي أعلى نسبة انتحار مسجلة بالنسبة للإناث طول الفترة المذكورة (أنظر الرسم البياني رقم 2).

إن هذه النتيجة لا تختلف عن مثيلاتها في ولاية سكيكدة، حيث تبين الإحصائيات للفترة (2000-2004) أن الرجال ينتحرون أكثر من النساء اللواتي يتميزن بنسب ضئيلة مقارنة بالرجال (أنظر الرسم البياني رقم 3).

إن هذه النتائج تأتي منسجمة ومتناغمة مع نتائج أغلب الدراسات من دور كايم إلى يومنا هذا، حيث تشير الغالبية منها إلى تفوق جنس الذكور فيما يخص الانتحار الكامل في مقابل جنس الإناث واللاتي تحاولن الانتحار أكثر بدورهن.

وهناك عدة تفسيرات لهذه الظاهرة، ومنها طبيعة الرجل الذي يتميز باتخاذ القرارات الحاسمة، والذي لا يفضل الظهور في موضع ضعف أمام الآخرين، وبالتالي يختار الطرق الأكثر حسما والأكثر عنفا وتأدية إلى الموت الحتمي، عكس المرأة التي تتميز بالليونة أكثر والعاطفة، وعدم الحسم في اتخاذ القرار، مما يؤدي بها إلى تفادي اللجوء في الغالب إلى استعمال وسائل حاسمة وعنيفة في إقدامها على الانتحار رغبة في إنقاذها من طرف المحيطين بها، حيث تعتبر المحاولة الانتحارية بمثابة صيحة نجدة ومحاولة لجلب انتباه الآخرين ليأخذوا حالتها بعين الاعتبار ويعيرونها الاهتمام اللازم، حيث يشير ريتشر وافرون (Rich et all) 1992 إلى أن الذكور أكثر دافعية محاولات الانتحار الناجحة من الإناث، وذلك لأن الذكور يخافون من عدم المرغوبية الاجتماعية، كما يخافون أيضا أن يظهروا بمظهر الضعف باعتبارهم انتحاريين، ولهذه الأسباب فإنهم حينما يقومون بمحاولات انتحار تكون ناجحة غالبا، كما أشار ريتشن وافرون أيضا إلى أن الذكور يستخدمون الأسلحة النارية والشنق في محاولات انتحارهم، أما الإناث فيتناولن العقاقير أو يقطعون الأوردة الدموية بأيديهن في محاولات انتحارهن.

3ـــ أثر الحالة المدنية على السلوك الانتحاري:

من خلال الرسم البياني رقم (04) الخاص بالسلوك الانتحاري حسب الحالة المدنية ولاية سكيكدة في الفترة الممتدة من (2000 إلى 2004) نلاحظ ما يلي:

أن 82.10% من المنتحرين والمحاولين للانتحار هم من العزاب، سواء كانوا ذكورا أو إناثا، فبالإضافة إلى كون هؤلاء العزاب في الغالب هم في سن مبكرة التي تمتد من (18 إلى 40 سنة)، وهي الفئة العمرية الأكثر انتحارا في الجزائر، فهناك عامل آخر هو الوحدة والعزلة التي يعيشونها من جراء حياة العزوبية، والتي تعتبر حسب دور كايم والكثير من الدارسين في موضوع الانتحار سببا في لجوء الكثيرين إلى الانتحار أو محاولة ذلك، فالعائلة حتى وإن كانت غير مستقرة فإنها توفر الحماية، فهناك انتحار أكثر من طرف الرجال المطلقين أو المنفصلين أو الذين يعيشون لوحدهم دون شريك، وهو أي الانتحار أقل بالنصف عند المتزوجين، في حين يرتفع معدله مرتين أكثر عند فقدان الشريك، خاصة عند النساء، وبعد الطلاق هناك زيادة بثلاث مرات أكثر في نسب الانتحار عند الرجال مقارنة بالنساء، بالإضافة إلى كون فئة العزاب في الجزائر هي الأكثر معاناة من مشكل البطالة، والذي يعتبر من أهم العوامل المؤدية للانتحار.

لكن الملاحظ هو أن فئة المتزوجين تأتي في المرتبة الثانية من حيث السلوك الانتحاري قبل الأرامل والمطلقين، وهذا عكس ما هو متعارف عليه، وما توصلت إليه العديد من الدراسات، خاصة الغربية، حيث نجد مثلا في فرنسا النسبة الأعلى للانتحار تخص الأرامل، ثم المطلقين، وبعدها يأتي العزاب، وأخيرا المتزوجون.

إن هذا الاختلاف قد يفسره ولو جزئيا في اعتقادنا عامل السن، حيث نجد الانتحار في الدول الغربية والأوربية على وجه الخصوص يزيد حسب السن، ومن المعروف أن النسبة الغالبة للأرامل والمطلقين هم من ذوي السن الكبيرة، في حين أن العازبين هم من ذوي السن الصغيرة، وهي الفئة الأكثر انتحارا في العشريتين الأخيرتين، لكن وحسب ما أشرنا سابقا فإن المطلقين والأرامل يعتبرون غالبا ذوي سن كبيرة، وهي الفئة العمرية الأقل تعرضا للانتحار في الجزائر، مما يفسر ضعف معدلات الانتحار عند هاتين الفئتين.

4ــ الطرق الأساسية المستعملة في السلوك الانتحاري:

تزودنا الإحصائيات المتعلقة بالوسائل المستعملة في الانتحار بدليل قاطع بأن الرجال يستعملون وسائل أكثر خطورة من تلك المستعملة من طرف النساء، حيث أشار ريتش وافرون إلى أن الذكور يستخدمون الأسلحة النارية والشنق في محاولات انتحارهم أما الإناث فيتناولون العقاقير أو يقطعن الأوردة الدموية بأيديهن في محاولات انتحارهن.

هذا الواقع تصدقه الإحصائيات المحصل عليها من طرف الباحث في كل ولايات الدراسة، حيث نجد أعلى نسبة من المنتحرين في ولاية بجاية تمت بوسيلة الشنق بنسبة تقدر بـــ 88.50%، كما نجد 66.66% من المنتحرين بولاية جيجل استعملوا نفس الطريقة، وتأتي كذلك وسيلة الشنق في المرتبة الأولى بولاية سكيكدة، حيث يقدم 33.33% من الذكور على الانتحار بواسطتها.

ويمكن تفسير هذه النسبة العالية من خلال عاملين أساسيين:

أولا: يعتبر أغلب المنتحرين انتحارا كاملا من الذكور، في حين نجد نسبة أقل بكثير من النساء، فعلى سبيل المثال تبلغ نسبة المنتحرين من الذكور بولاية بجاية 81.88%، مقابل 18.11% من الإناث طوال فترة الدراسة، ويؤيد هذا التفسير النتائج المتوصل إليها من خلال الإحصائيات الخاصة بولاية سكيكدة بالنسبة لجنس الإناث، حيث تأتي وسيلة الشنق في آخر الترتيب بنسبة ضئيلة لاتتجاوز 9% من مجموع الإناث المنتحرات طوال فترة الدراسة.

ونحن نعرف من خلال نتائج العديد من الدراسات في الدول الغربية والعربية أن "الرجال يستعملون أكثر العنف الأقصى أو أنهم يسلكون أكثر سلوكات تتميز بمخاطرة عالية مقارنة بالنساء"[29]، كما أن هناك تغييرا ثقافيا يرى بأن الانتحار حل مقبول اجتماعيا أكثر بالنسبة للرجال منه بالنسبة للنساء، كما أن ثقافة العنف المرتبطة بالجنس الذكري لا تساهم في كبح الرجال عن استعمال وسائل قصوى من أجل وضع حد لحياتهم، طبعا هذا ما يفسر زيادة نسب الانتحار الكامل عند الرجال، وزيادة نسب محاولات الانتحار عند النساء، فالوسيلة المستعملة لها دور كبير في تحديد النتيجة النهائية للفعل الانتحاري لدى الشخص المقدم عليه.

ثانيا: إذا نظرنا إلى الأصل الجغرافي للمنتحرين نجد أن أغلبهم بولاية بجاية مثلا ينتمون إلى المناطق الريفية، حيث يقدر عددهم بـــ 246 حالة انتحار في المناطق الريفية بنسبة تقدر بـــ 85.71% من مجموع المنتحرين طوال فترة الدراسة، في حين نجد أن 41 حالة فقط بنسبة تقدر بـــ 14.28% هم من سكان المناطق الحضرية بالولاية. (أنظر الرسم البياني رقم 7) وتتميز المناطق الريفية بولاية بجاية كغيرها من ولايات الشرق الجزائري بتوفر أشجار الزيتون بصفة كبيرة، مما يسهل اللجوء إليها باعتبارها أقرب وسيلة وأكثرها توفرا أمام المنتحر. وكما نعرف إن توفرت الوسيلة وسهولة الوصول إليها يعتبران عاملان محفزان على استعمالها. فمثلا رجال الشرطة والعسكريون يستعملون أكثر السلاح الناري باعتباره قرب وسيلة للمنتحر، في حين تستعمل النساء في المنزل السكين الموجودة في المطبخ لقطع الأوردة أو الأدوية المتوفرة بالمنزل، كما نجد في المدن التي تتوفر فيها الجسور (مثل مدينة قسنطينة بالشرق الجزائري، والتي تعرف بمدينة الجسور المعلقة) فيلجأ المنتحرون إلى القفز من فوق هذه الجسور.

كما نجد بعد الشنق طريقة القفز من علو بنسبة ضئيلة تقدر بـــ 4.52%، ويأتي على التوالي استعمال المواد السامة والسلاح الناري بنسبة تقدر بـــ 2.87% لكليهما، ثم الغرق بـــ 1.04%، واستعمال السلاح الحاد بـــ 0.34%.

وإذا ما قارنا هذه النسب بما حصلنا عليه من إحصائيات بولاية سكيكدة نجد تقاربا في ترتيب الوسائل من الأكثر استعمالا على الأقل استعمالا، حيث نجد

---

[29] - Mishara.bl.Tousigant.Michel.op cit.p 48.

في المرتبة الأولى الذكور المنتحرين عن طريق الشنق بـــ 33.33%، ثم يليها تناول المواد والعقاقير السامة بـــ 24.44%، والقفز في الفراغ بـــ 17.77%، وفي الأخير السلاح الناري والسلاح الحاد والاختناق بالغاز، بالإضافة إلى حرق النفس، وذلك بنسب ضئيلة.

أما بالنسبة للإناث فيختلف الترتيب لاختلاف طبيعة الجنسين، حيث نجد في المرتبة الأولى القفز في الفراغ بـــ 45.45%، ثم تناول مواد سامة بنسبة 18.88%، ويليها استعمال سلاح حاد بنسبة 13.63%، ونسبة ضئيلة تخص على التوالي الاختناق بالغاز والحرق، وفي الأخير الشنق واستعمال السلاح الناري (أنظر الرسوم البيانية رقم (5) و(6) و(7)).

إن هذه الإحصائيات الخاصة ببعض ولايات الشرق الجزائري لا تخرج عن الإطار العام للسلوك الانتحاري في المجتمع الجزائري، حيث نجد من بين الطرق المستعملة في الانتحار في الجزائر هي الشنق الذي يأتي في المرتبة الأولى، فحسب دراسة لمصالح الدرك الوطني في سنة 2005، فإن الانتحار شنقا يمثل 70% من الانتحارات التي حدثت في 12 سنة الماضية (1993-2005)، وأن 30% مقسمة بين تسممات واستعمال السلاح الناري والأسلحة البيضاء والمواد الحادة.

5ـــ السلوك الانتحاري حسب فصول السنة:

تشير الإحصائيات إلى أن السلوك الانتحاري يتغير حسب شهور السنة وأيام الأسبوع، لكن هذه التغيرات ليست كما يعتقد كثيرون بأن الانتحار يرتبط بالفصول الباردة والممطرة، حيث توصلت العديد من الدراسات خاصة في الدول الغربية إلى نتائج عكس ذلك الاعتقاد السائد، فإذا لاحظنا نسب الانتحار بولاية بجاية مثلا لفترة زمنية متوسطة تمتد من (2000-2006) نجد أن اخفض النسب تمثل فصلي الشتاء والخريف، وتقدر نسبة الانتحار في هذين الفصلين بـــ 23.69% لكليهما، في حين نجد نسبة 28.22% في فصلي الصيف و24.39% من المنتحرين يقدمون على إنهاء حياتهم في فصل الربيع (أنظر الرسم البياني رقم 8). لكن هذه النتائج لا تعبر دائما عن الواقع إذا ما أخذنا كل سنة على حدى، حيث نجد مثلا في سنة 2003 اخفض النسب كانت في فصلي الصيف والربيع، حيث سجلت 8.82% من إجمالي المنتحرين أقدموا على هذا الفعل في فصل الصيف، وهي أضعف نسبة، ثم تليها نسبة 26.47% في فصل الربيع، ونسبة 29.41% في فصل الخريف، وأخيرا أعلى نسبة سجلت في فصل الشتاء، وقدرت بـــ 35.29%. إذن فالنتائج الجزئية قد تأتي معاكسة للنتائج على المستوى الكلي، ولهذا وجب من أجل تحديد أي الفصول تتميز بنسب انتحار أكثر أن نقوم بدراسة ممتدة في الزمن حيث يسمح لنا هذا النوع من الدراسات برؤية أشمل للظاهرة في الواقع.

ويمكن تفسير الزيادة في فصل الصيف والذي يمتد من 21 جوان إلى 20 سبتمبر إلى كون هذه المرحلة تعتبر مصيرية بالنسبة للشباب، سواء كانوا طلبة في الجامعة أو الثانوية، حيث تتضمن هذه الفترة إجراء الامتحانات وظهور النتائج، وكذا تخرج العديد منهم مما يؤدي بهم إلى الإحساس بالقلق لانتقالهم من مرحلة مستقرة وواضحة المعالم ومحددة الأهداف، وهي مرحلة الدراسة إلى مرحلة أخرى جديدة مضطربة، وتتميز بالضبابية والشك، وهي الواقع بكل ما يحمله من تحديات وعراقيل في وجه الشباب الباحث عن الاستقرار الوظيفي، وبعده الاستقرار الأسري من خلال الزواج، واللذان يعتبران من بين المسائل الصعبة التحقيق في مجتمعنا، حيث تنتشر البطالة بصفة عامة، وفي صفوف الشباب حاملي الشهادات بصفة خاصة. وفي آخر حصيلة للدرك الوطني للثلاثة أشهر الأولى لسنة 2007 بينت أنه من بين 12 محاولة انتحار توجد 10 حالات بالنسبة لأشخاص من دون مهنة أو وظيفة تشغلهم وتملأ فراغهم طيلة الأوقات، وهناك ثمانية انتحارات كاملة لتلك الفئة من أصل تسع حالات، فيما سجل انتحار واحد لكل من فلاح، وآخر موظف، وثالث يمارس نشاطا حرا، وعليه فإن وفاة واحدة فقط لباقي المهن الثلاثة تقابلها ثمانية انتحارات لشباب عاطل عن العمل[30].

كما أن هناك تفسير آخر لزيادة الانتحار في فصلي الصيف والربيع، حيث يرى دور كايم أن الانتحار يزيد مع زيادة طول النهار، ويصل بذلك إلى الذروة في هذين الفصلين وأقل نسبة له في فصلي الخريف والشتاء اللذان يتميزان بقصر النهار.

إن هذه النتائج لا تشد عن القاعدة إذا ما قارناها بالنتائج الوطنية، فإذا أخذنا الإحصائيات الخاصة بالسلوك الانتحاري في المجتمع الجزائري لسنة 2004 فإننا نلاحظ أعلى النسب في شهور ماي، جوان، جويلية وأوث، وهي تمثل فصلي الربيع والصيف.

ويلاحظ دور كايم كذلك "أنه لا توجد علاقة إحصائية ذات دلالة بين درجة الحرارة وتوزع الانتحارات، فالانتحار لا يرتفع حسب درجة الحرارة، وإذا كان الانتحار حساسا اتجاه المناخ فإنه حساس أكثر اتجاه المناخ الاجتماعي منه للبارومتر أو الترمومتر"[31].

وهذا يعني أنه ليست الفصول كظواهر طبيعية هي التي تؤثر على السلوك الانتحاري لدى الأفراد، ولكن الأحداث والمشاكل وكذا الطموحات والآمال التي تميز هذه الفترات من السنة هي التي تلعب دورا مؤثرا وفاعلا في السلوك الانتحاري.

---

[30] - يومية الشروق اليومي، الاحد 8 افريل2007، العدد 1962.

[31] - Gerard morice, op cit , p 42.

6ـ السلوك الانتحاري حسب اليوم والليلة:

من خلال الإحصائيات الخاصة بالانتحار بولاية بجاية حسب اليوم والبيئة نلاحظ أن اكبر نسبة سجلت كانت في النهار بـ 74.91% مقابل 25.09% ليلا طوال الفترة الممتدة من سنة 2000 إلى 2006، أي أن غالبية المنتحرين يختارون الفترة النهارية للإقدام على فعلهم، حيث سجلت أكبر نسبة للذين انتحروا نهارا سنة 2006 بـ 91.30% في مقابل 8.69% اختاروا الليل لتنفيذ فعلهم الانتحاري، في حين نجد أضعف نسبة سجلت سنة 2000 بـ 70.45% نهارا مقابل 21.54% من الانتحارات تمت ليلا (أنظر الرسم البياني رقم 9) ونفس النتيجة تقريبا سجلت بولاية جيجل، حيث أن 74.56% من المقدمين على السلوك الانتحاري قاموا بذلك نهارا، في حين أن 25.43% منهم أقدموا على فعلهم ليلا (أنظر الرسم البياني رقم 10).

إن هذه النتيجة تنسجم مع تلك المحصلة من طرف إميل دور كايم، حيث توصل إلى أن الانتحار غالبا ما يتم في النهار، ويمكن إرجاع ذلك في اعتقادنا إلى ما يميز النهار من حركة وكثافة التفاعلات الإنسانية التي تحدث، مما يساهم في ظهور مشكلات مختلفة قد تواجه الفرد فتسبب له صدمات, قد تكون إحداها عاملا حاسما في اتخاذ قرار الانتحار، في حين أن الليل يتميز بالسكوت والهدوء وقلة الاضطرابات الناتجة عن المشاكل المختلفة فتقل فيه نسب الانتحار. غير أن هناك نسبة لا يمكن تجاوزها من المنتحرين ليلا، حيث تفوق ربع المنتحرين الإجمالي، وقد يعود هذا لطبيعة الشخص نفسه، أو إلى مدى حسمه وجديته في إنهاء حياته، والقيام بالفعل الانتحاري ليلا قد لا يوفر فرصة للنجاة أو الإنقاذ من طرف المحيطين به عكس النهار الذي قد تتوفر فيه إمكانية تواجد أشخاص في الوقت المناسب لتقديم يد المساعدة للمقدم على الانتحار.

7- السلوك الانتحاري حسب أيام الأسبوع:

تبين الإحصائيات حول السلوك الانتحاري بولاية جيجل أن أعلى النسب نجدها في وسط الأسبوع أيام الاثنين, الثلاثاء, والأربعاء، وأخفضها نجدها في طرفي الأسبوع، إما في بدايته أو نهايته (أنظر الرسم البياني رقم 11)، ما يمكن ملاحظته أن أخفض نسبة على الإطلاق سجلت يوم الجمعة، ويعود هذا الأمر إلى طبيعة هذا اليوم المقدسة لدى المسلمين، حيث يعتبر عيدا لهم، وتقام فيه صلاة الجمعة، والتي يحضرها كل المصلين، إلا الذي له عذر شرعي، كما تحضر النساء للصلاة في المسجد خلاف أيام الأسبوع الأخرى, إن الاجتماع في بيوت الله، والاستماع إلى الذكر والمواعظ الدينية يولد إحساسا بالسلام والرضى الداخلي، حيث يشعر الفرد المسلم بروح التضامن من خلال تواجده مع إخوانه في المسجد.

كما أن هذه النتيجة تنسجم ولو نسبيا مع ما توصلت إليه الدراسات الفردية حول علاقة الانتحار بأيام الأسبوع، والذي يكون أقوى في بداية الأسبوع عنه في نهايته, حيث أنها في ولاية جيجل مثلا تتزايد كلما اتجهنا إلى نهاية

الأسبوع، والاستثناء الوحيد هو في يوم الجمعة الذي يسجل أخفض نسبة، مما يدعونا إلى التفكير في أثر الممارسات الدينية في الوقاية من السلوكات الانحرافية بصفة عامة، والسلوك الانتحاري بصفة خاصة، وهذا الأمر يمكن تعميمه على المستوى الوطني، حيث تشير الإحصائيات الوطنية عن الانتحار إلى انهيار كبير لنسب الانتحار والمحاولات الانتحارية أيام الجمعة، وكذا في شهر رمضان الكريم.

8ــ السلوك الانتحاري حسب مكان الإقامة (حضري - ريفي):

عكس نتائج الدراسة التي قام بها دور كايم القائلة بتزايد نسب الانتحار في المدينة مقارنة بالريف، نجد أن نسب الانتحار بولاية بجاية للفترة (2000-2006) تظهر تفوقا واضحا للمنتحرين الذين يقطنون بالمناطق الريفية للولاية، وذلك طوال سنوات الدراسة ودون استثناء.

فإذا أخذنا العدد الإجمالي المطلق لحالات الانتحار في الفترة المذكورة أعلاه نجد 246 حالة انتحار بنسبة تقدر بـــ 85.71% تخص القاطنين بالمناطق الريفية في حين 41 حالة فقط بنسبة تقدر بـــ 14.28% يمثلون سكان المناطق الحضرية. (أنظر الرسم البياني رقم 12).

ويمكن إرجاع هذه النتيجة إلى التغيرات الراديكالية التي عرفها المجتمع الجزائري منذ الاستقلال إلى يومنا هذا، حيث عرفت المناطق الريفية تغيرا في البنى التقليدية التي كانت تمثل الحماية للفرد في مواجهة المشاكل والعقبات التي تعترضه، كالأسرة الممتدة والجماعة والعشيرة التي كانت توفر مختلف أشكال التضامن, فبالرغم من الظروف الاقتصادية والاجتماعية والحرمان الذي كان يعانيه الفرد الجزائري فيما مضى، غير أنه بالرغم من غياب الإحصائيات التي تثبت ذلك يبدو جليا أن الانتحار والسلوكات الانتحارية كانت نسبيا نادرة[32]، أما في وقتنا الحالي وفي ظل غياب الحماية الناتجة عن غياب أو تراجع دور البنى التقليدية، وصعوبة ظروف المعيشة، وضعف الوازع الديني كلها عوامل ساهمت في جعل مناعة سكان الأرياف أكثر ضعفا منها عند سكان الحضر، والذين يتمتعون ببعض التعويض الذي توفره لهم المدينة، حيث تتميز بسهولة الحياة مقارنة بالريف، ووجود وسائل العيش الكريم بصفة أفضل نسبيا، مما يساعد على تحقيق طموحات الشباب الذين يعتبرون الفئة الأكثر لجوءا إلى الانتحار في المجتمع الجزائري.

إن هذه النتيجة تتوافق مع أخرى عن أثر عامل التحضر على الانتحار، حيث كانت هذه الظاهرة في القرن التاسع عشر تدفع إلى تضاعف مخاطر الانتحار، غير أنه أصبحت في القرن العشرين تساهم في خفض هذه المخاطر, فالدول المتطورة باغتنائها عرفت كيف تخترع طرقا أخرى للعيش الجماعي في

---

[32] - bekacem ben smail, op cit, p 16.

المدينة، وفي العمل بالرغم من أنها مختلفة تماما عن تلك التي كانت سائدة من قبل غير أنها منتجة لقيم التضامن ولا تؤدي إلى الوحدة أو العزلة، كما يعتبر محيط العمل في عالمنا المعاصر مجالا استراتيجيا تعقد فيه مجموعة من العلاقات بين الفرد والمجتمع, يلعب فيها الفرد دورا هاما, ويشكل النشاط المهني جزءا كبيرا من الهوية الاجتماعية للأفراد، ويمارس ضغطا قويا على الهوية الشخصية لدرجة تماهي الشخص في مهنته إذا أصبحت ضمن الكلام العادي فنقول "أنا أستاذ, أنا سائق, ...الخ. إن هذه الأشكال الجديدة للتنظيم قد ساهمت في الدول الغربية في زيادة الاطمئنان والثقة في الذات ومضاعفة الطموح لدى الأفراد، ولهذا السبب لوحظ انخفاض نسب الانتحار بمراحل النمو المخطط, حيث عرفت هذه الأشكال الجديدة للتطور الاقتصادي والعمل كيف تنتج أشكال جديدة للاندماج والتكامل بين الأفراد".[33]

العوامل المؤدية للسلوك الانتحاري:

من خلال المعطيات الخاصة بولاية سكيكدة للفترة الممتدة من (2000 إلى 2004) تم تسجيل مجموعة من الأسباب بعضها ذو طابع سوسيو اقتصادي، وبعضها راجع إلى اضطرابات نفسية وأخرى عاطفية، وفي بعض الأحيان نابعة عن مرض عقلي أو إدمان على المخدرات والكحول.

من خلال الرسم البياني رقم 03 يتبين لنا أن 34.32% من الأسباب المؤدية للسلوكات الانتحارية هي ذات طابع سوسيو اقتصادي، حيث نجد 44.44% من الذكور يتجهون نحو وضع حد لحياتهم بتأثير هذه المشاكل، مقابل 13.63% من الإناث، في حين نجد 28.35% من أفراد العينة تعود سلوكاتهم الانتحارية للاضطرابات النفسية التي يعانونها مع ملاحظة تقدم جنس الذكور كذلك بـــ 37.77% مقابل 9.09% للإناث.

كما تأتي في المرحلة الثالثة من بين الأسباب المحفزة على المرور إلى الفعل الانتحاري المشاكل العائلية بنسبة 22.38% مع غلبة لجنس الإناث بـــ 48.45% مقابل 11.11% من الذكور.

مع الإشارة إلى أن هناك نسبة صغيرة تقدر بـــ 8.95% لأولئك الذين يعانون من اضطرابات عقلية مع تكرار هذا السبب لدى جنس الإناث أكثر منه عند الذكور.

ونجد في الأخير نسب ضئيلة تخص الأسباب التالية، وهي الإدمان على المخدرات والفشل المدرسي والعلاقات الجنسية غير الشرعية.

ما يمكن ملاحظته هنا هو تصدر المشاكل السوسيو اقتصادية لباقي المشاكل التي يعاني منها الشباب (الفئة الأكثر انتحارا)، والتي تدفعهم أو تحفزهم إلى القيام بالسلوك الانتحاري، إن هذه الأسباب يختص بها الذكور في الغالب،

---

[33] - Christian B, Roger E, op cit, p 30.

وهي ناتجة عن البطالة المتفشية في أوساطهم، والتي تقف حائلا أمام تحقيق طموحاتهم المشروعة، فهم لا يستطيعون تلبية حاجياتهم الأساسية فضلا عن تحقيق الاستقرار عن طريق بناء أسرة، هذا الأمر الذي أصبح صعبا الوصول إليه في ظل الظروف الاجتماعية المزرية، والتي تزيد من حدتها أزمة سكن حادة يعرفها المجتمع الجزائري بأسره في الواقع "إن المستوى الاقتصادي لا يرتبط بالضرورة مباشرة بخطر المرور إلى الفعل الانتحاري، ولكن البطالة والإفلاس تعتبر عوامل ذات أهمية بالغة، إذ تمثل جرحا نرجسيا، بالإضافة إلى فقدان احترام الذات في الغالب، حيث تؤدي إلى انخفاض في المداخيل، وبالتالي التقليل من إمكانية التكيف، وزيادة فرص العزلة الاجتماعية، وفي بعض الأحيان العائلية، وانقطاع في الروابط والمعالم، مما قد يؤدي إلى أزمة عائلية سواء مع الأبوين والإخوة في حالة الشاب أعزب أو مع الزوجة إذا كان متزوجا. هذا ما يزيد من خطورة الوضع إذ أن "تجاوز المشاكل أو الفشل سواء كان مدرسيا أو مهنيا يصبح من الصعب بمكان في حالة عيش الشخص في حالة وحدة، بالإضافة إلى أن الدعم العائلي يعتبر أساسيا، فالمحاولة الانتحارية بعد فشل مدرسي، مهني أو وضعية بطالة تأتي غالبا في حالة ضعف أو عدم كفاية التضامن أو الدعم العائلي أو غيابه تماما.[34]

إن انفجار الخلية العائلية يؤثر بقوة على القدرة على مواجهة التوترات والمسؤوليات، وكذلك الصعوبات المهنية، حيث يجعل الفرد ضعيفا أمام الأزمات المهنية، فغياب الدعم العائلي يمثل عامل خطر مهم، وهذا ما نلاحظه من خلال الجدول (13)، حيث نجد 22.38% من الحالات، أي تقريبا ربع الحالات تمت بسبب المشاكل العائلية. كما أن الخمول أو عدم النشاط يؤدي إلى هدم الانا وتفكيك الأطر النفسية cadres psychique[35]، حيث نجد أن الاضطرابات النفسية تعتبر في عيننا السبب الثاني للسلوك الانتحاري، حيث نجد ما يقارب الثلث ممن مروا إلى الفعل الانتحاري كانوا يعانون من اضطرابات نفسية، مما يدل على الترابط والتشابك بين مختلف العوامل، سواء كانت سوسيو اقتصادية أو نفسية، وتساندها من اجل إنتاج حالة من الضعف واليأس لدى شخص معين تؤدي به إلى محاولة التخلص من حياته بغض النظر عن نتيجتها النهائية، مما يدعونا إلى الأخذ بعين الاعتبار لكل هذه العوامل، وعدم التركيز على جانب دون آخر من أجل وضع برنامج وقاية فعال.

في الأخير نلاحظ أن الاضطرابات العقلية لا تعتبر متكررة كثيرا، إذ نسجل 6 حالات فقط بنسبة 8.80%. في حين نجد حالتين من جنس الذكور كان

---

[34] - Charzac M Brunel, prévenir le suicide: clénique et prise en charge, dunod, paris, 2002, p 126.

[35] - Brain M, Tousignant N, op cit, p 48.

السبب المباشر لسلوكها الانتحاري هو الإدمان على المخدرات، حيث يعتبر من بين عوامل الخطر التي لها ارتباط كبير بالانتحار والمحاولات الانتحارية، فحسب التقرير السنوي للمجلس الاقتصادي والاجتماعي والمتعلق بحماية الشباب وانحراف الأحداث، وجدوا هناك علاقة بين تعاطي المخدرات والأشكال الأخرى للانحراف ومن بينها الانتحار، حيث تشير الإحصائيات أن 17 حالة انتحار كانت تحت تأثير المخدرات و483 محاولة انتحار كانت بتأثير المخدرات (سنة 2003)[36].

ولقد تم تسجيل حالتين لجنس الإناث كانت السبب المباشر للأولى هو الفشل المدرسي والثانية علاقة جنسية مفضوحة.

[36]- Conseil national économique et social, 2ème session plénière, protection et jennexe, lébiquance de uninems, p45.

خلاصة:

من خلال هذه الدراسة نخلص إلى النتائج المتعلقة بخصائص السلوك الانتحاري ببعض ولايات الشرق الجزائري.

- يخص السلوك الانتحاري بصفة عامة فئة الشباب الممتدة أعمارهم من 20-49 سنة وهذا عكس ماهو حادث في أغلب الدول الغربية، حيث ترتفع نسب الانتحار لدى الأشخاص المسنين أكثر منها عند الشباب، وهذا التباين راجع إلى الاختلافات السوسيوثقافية بين هذه المجتمعات والمجتمع الجزائري.
- للانتحار التام علاقة ايجابية بجنس الذكور في حين ترتبط محاولات الانتحار بجنس الإناث أكثر.
- تلعب الظروف السوسيو اقتصادية دورا مهما في زيادة الميل نحو السلوك الانتحاري.
- تنتشر السلوكات الانتحارية أكثر في فصلي الربيع والصيف عنهما في فصلي الشتاء والخريف، وهذا لا يعود لتأثير هذه العوامل الكونية في حد ذاتها ولكن للأحداث التي تلازمها.
- ينتشر السلوك الانتحاري في النهار أكثر منه في الليل ويرتبط إيجابا بوسط الأسبوع وسلبا ببدايته ونهايته.
- هناك علاقة عكسية بين السلوك الانتحاري ويوم الجمعة.
- ينتشر السلوك الانتحاري أكثر بالمناطق الريفية عنه في المناطق الحضرية.
- تأتي وسيلة الشنق في المرتبة الأولى بالنسبة للذكور فيما يخص الانتحار التام وتناول المواد السامة للإناث فيما يخص المحاولات الانتحارية.
- يأتي العزاب في المرتبة الأولى من حيث اللجوء إلى السلوك الانتحاري ثم المتزوجون والأرامل والمطلقون.

توصيات:

من خلال النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة يمكننا اقتراح التوصيات الآتية علها تسهم ولو جزئيا في تبصير الجهات المعنية بمعالجة هذه الظاهرة والحد من انتشارها.

- إن السلوك الانتحاري ليس قدرا محتوما وان إبداء الاهتمام والعناية أكثر خاصة بفئة الشباب والمراهقين قد يساهم بجدية في التقليص من انتشار هذه الظاهرة في أوساطهم.
- إن تدعيم الجانب الروحي لدى الشباب والحرص على أن ينهل ويتشرب القيم الأصلية والصحيحة للدين الإسلامي الحنيف دور حاسم في الوقاية من الانحرافات بصفة عامة والانتحار على الخصوص.
- إن توفير الدعم المادي والمعنوي للدراسات التي تعني بمثل هذه الظواهر الخطيرة والتي تمس شريحة الشباب خاصة قد يساهم في إيجاد الحلول الناجعة للكثير منها وعلى رأسها مشكلة الانتحار.
- ويبقى توفير المعلومات والإحصائيات الدقيقة وذات المصداقية عاملا حاسما في تشخيصها واقع الظاهرة. وبالتالي إمكانية التعامل معها بدقة وموضوعية.

قائمة المراجع:

أ – باللغة العربية:

1. أحمد عياش، الانتحار، دار الفارابي، 2003.
2. أنتوني غدينز، **علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)**، ط4، ت- فايز الصايغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005.
3. إحسان محمد الحسن، مبادئ علم الاجتماع الحديث، ط1، دار وائل للنشر، الأردن، عمان، 2005.
4. تكفي كلثوم، الانتحار في المجتمع الجزائري، ماجستير في علم الاجتماع العائلي، جامعة الجزائر، 1995-1996.
5. فخري الرباح، الموت...اختيارا (دراسة نفسية اجتماعية موسعة لظاهرة قتل النفس)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1968.
6. كمال طارق، **الانتحار...هروب جبان إلى الموت**، الشروق، مجلة أسبوعية سياسية دار الخليج للصحافة والطباعة والنشر، العدد 767/755، 9/25، 2006/10/1.
7. محمود أحياتي، "الحب والمال وراء انتحار في المغرب"، جريدة القبس الكويتية، العدد 12229، السنة 36، الاثنين 18 يونيو2007.
8. مهى سهيل المقدم، **محاكمة دور كايم في الفكر الاجتماعي العربي**، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر 1992.
9. موضى الزهراني، لماذا الانتحار؟" جريدة الوطن السعودية، العدد 01696، النسخة الخامسة، 22 مايو.
10. يومية الشروق اليومي، الاحد 8 افريل2007، العدد 1962.

ب – باللغة الأنجنبية:

1. Aron.R.les étapes de la pensée sociologique.ed.cérès.vol 2.1994.
2. Belkacem bens mail, suicide et culture au maghreb, suicide et culture, l'harmattan ,paris, France, 1999.
3. Brian M ,Michel.T .**comprendre le suicide ,**PUM. 2004 .
4. Charzac M Brunel, prévenir le suicide: clénique et prise en charge, dunod, paris, 2002.
5. Christian Baudelot ,Roger Establet. Suicide - l'envers de notre monde, seuil, Paris, 2006 .
6. Conseil national économique et social, 2ème session plénière, protection et jennexe, lébiquance de uninems.
7. Durkheim.E .le suicide.P.U.E, quadrige, Paris ,1983 ,p 3.
8. Mishara.B .tousiguant.M.comprendre le suicide.p.ed.M.2004.
9. Mourice gerard, le suicide, affaire moin privé qu'on le pense, science et vie, avril 1985, n.871
10. Ronald Inglehant et Wayne E.Baker » ,Modernization, cultural change and the persistence of traditional values ,« American sociological vevient, 200 ,vol, 65.

قائمة الرسومات البيانية:

الرسم البياني رقم (01) يبين السلوك الانتحاري حسب السن بولاية جيجل للفترة (2000-2006).

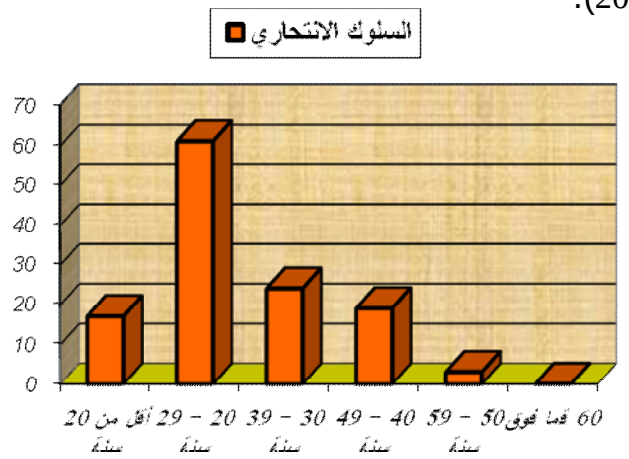

الرسم البياني رقم (02) يبين الانتحار حسب الجنس بولاية بجاية (2000-2006).

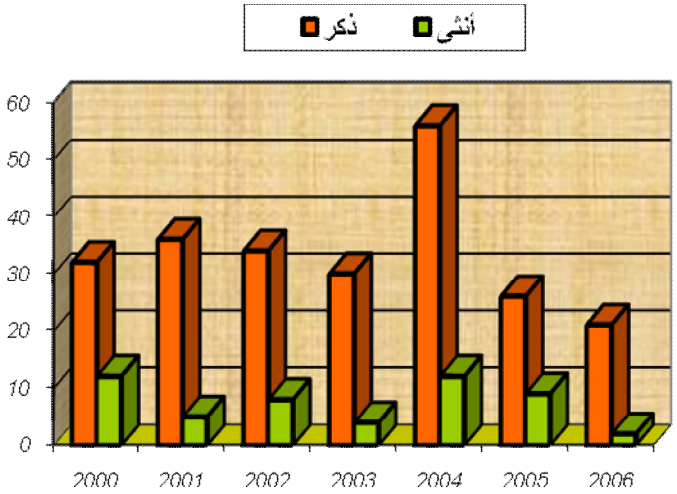

الرسم البياني رقم (03) يبين السلوك الانتحاري حسب الجنس بولاية سكيكدة (2000-2004).

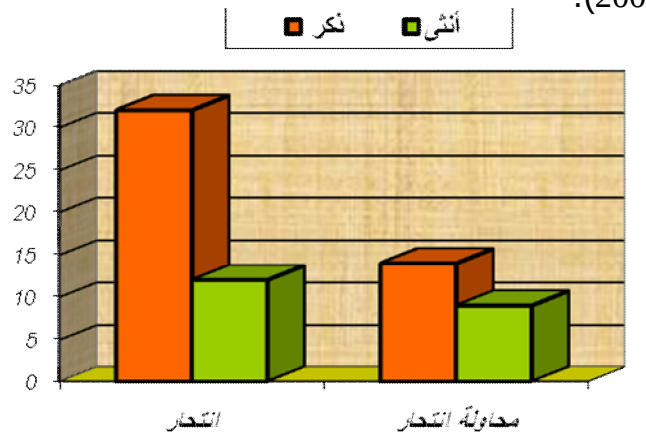

الرسم البياني رقم (04) يبين السلوك الانتحاري حسب الحالة المدنية بولاية سكيكدة (2000-2004).

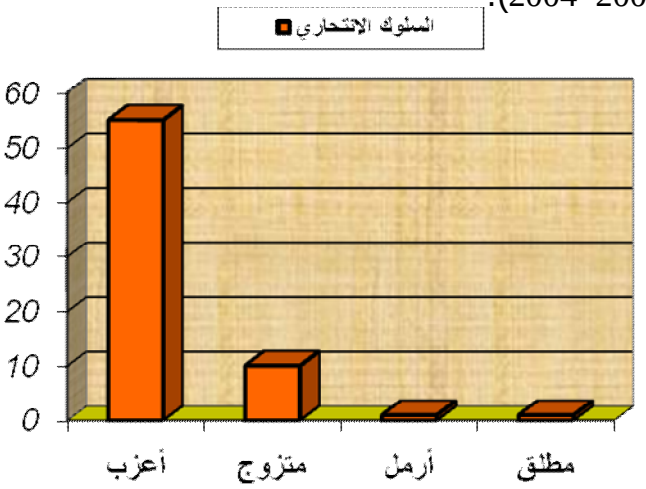

الرسم البياني رقم (5) يبين السلوك الانتحاري حسب الوسيلة المستعملة لولاية بجاية (2000-2006).

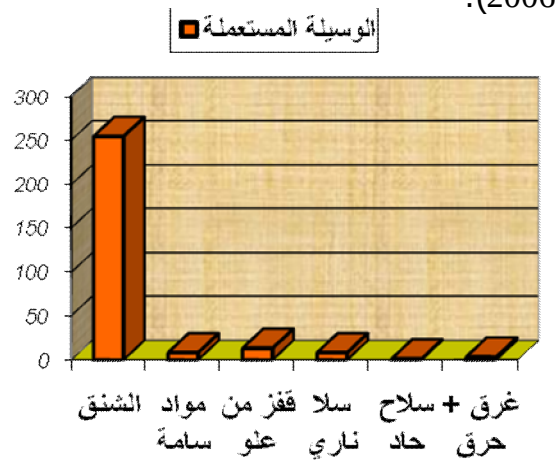

الرسم البياني رقم (6) يبين السلوك الانتحاري حسب الوسيلة المستعملة لولاية جيجل (2000-2006)

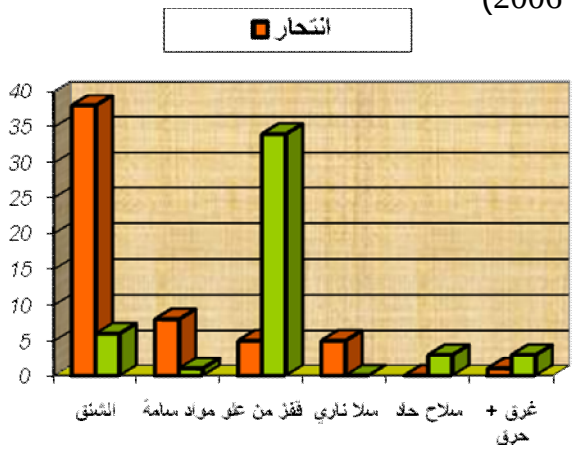

الرسم البياني رقم (7) يبين السلوك الانتحاري حسب الوسيلة المستعملة لولاية سكيكدة (2000-2004)

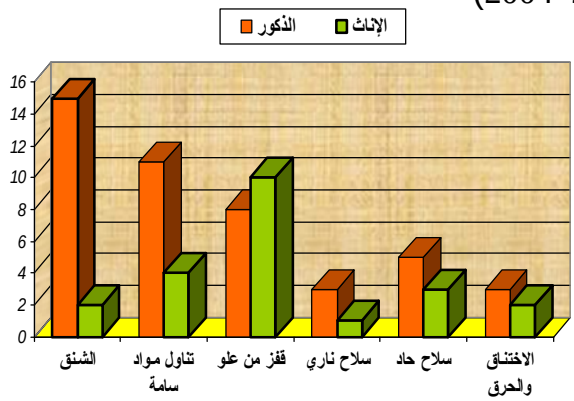

الرسم البياني رقم (8) يبين الانتحار حسب فصول السنة بولاية بجاية (2000-2006)

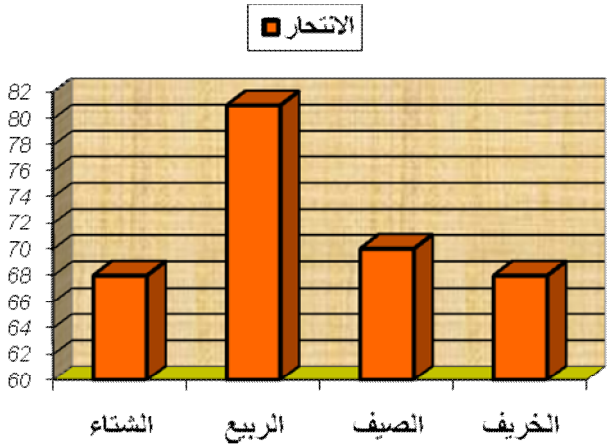

الرسم البياني رقم (9) يبين الانتحار حسب اليوم والليلة بولاية بجاية (2000-2006)

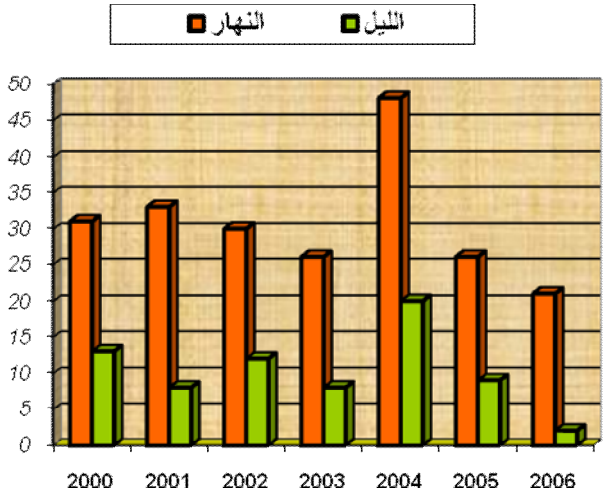

الرسم البياني رقم (10) يبين السلوك الانتحاري حسب اليوم والليلة بولاية جيجل (2000-2006)

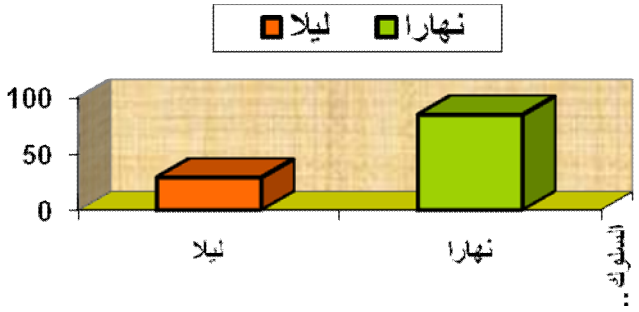

الرسم البياني رقم (11) يبين السلوك الانتحاري حسب أيام الأسبوع لولاية جيجل (2000-2006)

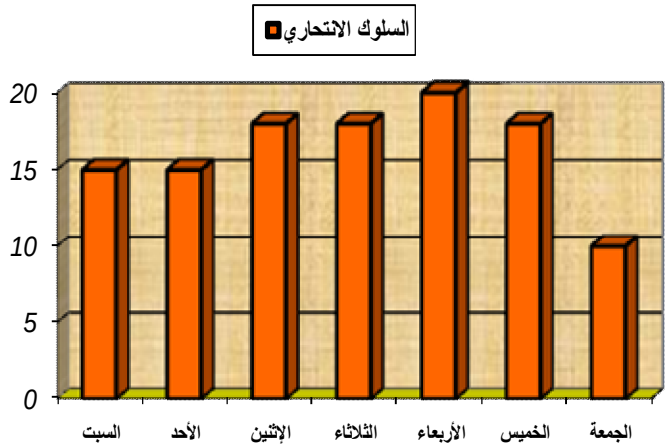

الرسم البياني رقم (12) يبين الانتحار حسب سكان الإقامة بولاية بجاية (2000-2006)

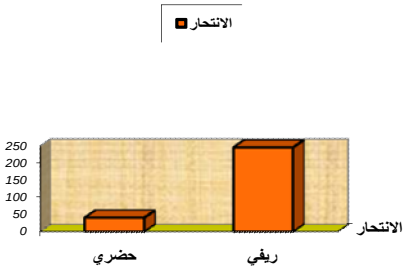

الرسم البياني رقم (13) يبين العوامل المؤدية للسلوك الانتحاري بولاية سكيكدة (2004-2000)